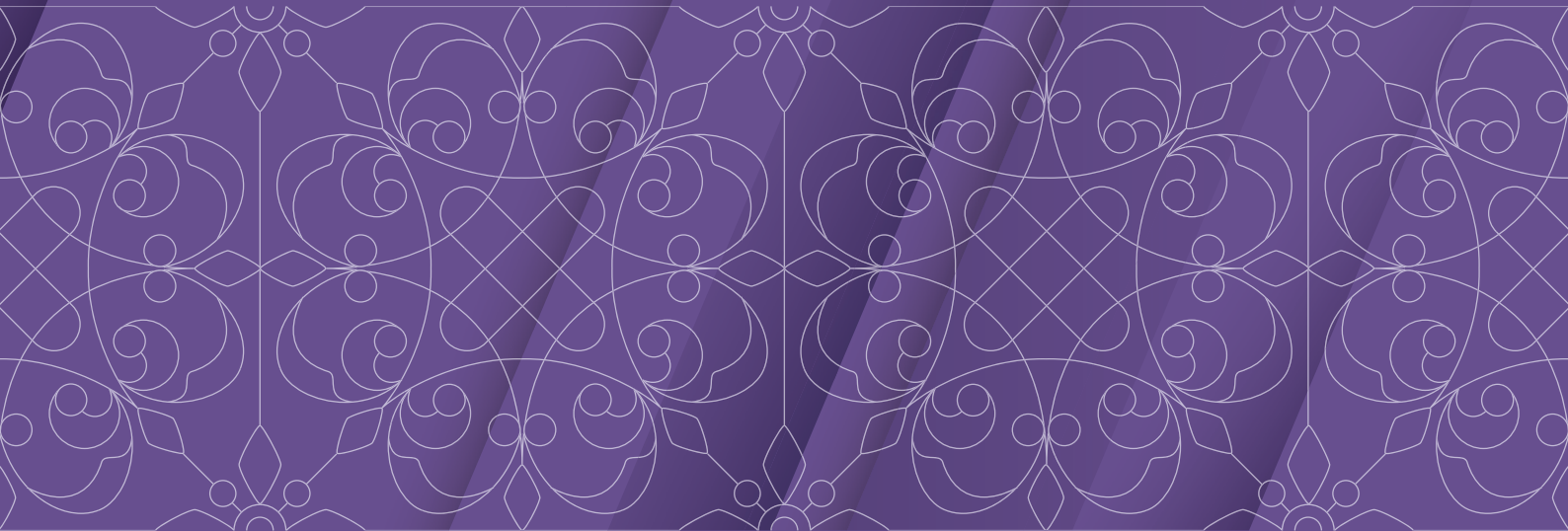




الإصدار  
الثالث

# مراحل النمو العاطفي للأطفال فاقدي الرعاية الأسرية

سلسلة إصدارات الرعاية البديلة



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

# فريق العمل

## الإشراف العام :

السيدة معاني بنت عبدالله البوسعيدية  
المديرة العامة للتنمية الأسرية  
الفاضلة/ سعاد بنت سعيد اليزيدية  
مديرة دائرة شؤون الطفل

## الإعداد :

الدكتور/ مطاع بركات  
استشاري ومدرب نفسي في الطفولة والمراهقة

## فريق العمل :

الفاضل/ أحمد بن حميد البادي  
مدير مساعد بدائرة شؤون الطفل  
الفاضلة/ عائشة بنت منصور البحرية  
رئيسة قسم الرعاية البديلة  
الفاضلة/ أمينة بنت خلف المعمرية  
مدير مساعد فني بمركز رعاية الطفولة  
الفاضلة/ عبير بنت سالم البلوشية  
كاتبة بيانات اجتماعية  
الفاضلة/ دينا بنت صالح الراشدية  
أخصائية نفسية

## المساهمون :

- المختصين من دوائر وأقسام التنمية  
الأسرية / الاجتماعية بالمحافظات  
- ممثلين من الأسر الحاضنة

## التصميم والإخراج الفني :

الفاضلة/ عفاف بنت علي الغافرية  
مصممة جرافيك

# الفهرس

- 6 ..... - المقدمة
- 8 ..... - نشأة التعلق بالأبوين الحاضنين
- 10 ..... - المرحلة الأولى: البيئة التي ينشأ فيها الطفل فاقد الرعاية الأسرية
- 17 ..... - المرحلة الثانية: الحاجة إلى وجود الأم الحاضنة إلى جانب الطفل
- 24 ..... - المرحلة الثالثة: تعزيز استقلالية الطفل فاقد الرعاية الأسرية
- 30 ..... - المرحلة الرابعة: التوجه نحو العالم الاجتماعي المحيط
- 36 ..... - المرحلة الخامسة: التمرکز في الأسرة والرغبة بالاقتران بالأبوين
- 43 ..... - المرحلة السادسة: الاتصال والتواصل مع الأقران
- 48 ..... - المرحلة السابعة: تشكل الهوية ومشاركة الآخرين

## شكر للمساهمين في هذا الإصدار

إنَّ مِنْ دواعي الإنصافِ أَنْ نُزجِيَ الشُّكْرَ لِمَنْ أسَّهَمُوا في إعدادِ إصداراتِ الرَّعايةِ البديلةِ وإخراجها، وعلى ما بذلوه مِنْ جهدٍ مُثمِرٍ في وُصولِ هذه الإصداراتِ إلى صُورتها النَّهائيَّةِ، ونُخصُّ بالشُّكرِ كافَّةَ مُمثلي الدَّوائرِ وأقسامِ التَّنميةِ الأُسرِيَّةِ بِمحافظةِ سلطنةِ عُمانِ، وأعضاءِ لُجنتِ الاحتضانِ، ومُمثلي الأُسْرِ الحاضِنَةِ، على مُراجعتِهِمْ لِلْمُحتَوَى وإبداءِ ملاحظاتهمُ، وللجهدِ والوقتِ اللَّذَيْنِ قَطَعُوهُمَا في عُضونِ ذلكِ؛ ما كانَ لَهُ الأثرُ الكَبيرُ في ثراءِ مضمونِ هذه الإصداراتِ.

سائِلِينَ اللهَ - عَزَّ وَجَلَّ - أَنْ تَقوَدَ الأهدافَ الوطَنيَّةَ السَّامِيَّةَ لِهَذا العَمَلِ إلى تَحقيقِ مَصَلَحَةِ الأَطفالِ وأُسَرِهِمُ الحاضِنَةِ وَلِما فِيهِ خَيْرٌ لِلْمُجتمَعِ والوَطَنِ أَجمَعِ.

# المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على أشرف خلق الله أجمعين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه المبجلين إلى يوم الدين وبعد،

حظي اليتيم في الإسلام على مكانة خاصة فقد أولاه اهتماما كبيرا ويعتبر رعايته والحفاظ على حقوقه من أولويات بناء مجتمع مترامح ومتصالح، إذ تحت الشريعة السمحاء والإسلام الكريم على تضامن المسلمين في تنشئة ورعاية الأيتام وتقديم كافة أوجه الدعم المعنوية والمادية. إذ يقول الله تعالى في محكم آياته: وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَغْنَتْكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ" البقرة: 220 ، والبشارة في أن يحظى كافل اليتيم بأن يكون بقرب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- حيث قال عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم: (( أنا وكافل اليتيم في الجنة كهاتين وأشار بإصبعيه السبابة والوسطى وفرج بينهما شيئا يسييرا )).

وترتقي مكانة الأسر التي تحضن الأيتام لأن التشريع الإسلامي أقر بأن الأسرة هي النواة الأولى لبناء المجتمع، وبقدر ما تكون الأسرة قوية متماسكة يكون المجتمع قويا مزدهرا ومنتجا وصاحب حضارة مبدعة، ووصف مجتمع المسلمين بأنه مجتمع مترامح ، والرحمة هي أساس التماسك ، وتقوم على أرضية صلبة. وأولت سلطنة عمان ممثلة بوزارة التنمية الاجتماعية اهتماماً واسعاً بتوفير أسس وقواعد لاختيار أسر حاضنة تكفل فئة الأطفال فاقدى الرعاية الأسرية ممن حالت ظروفهم البقاء في كنف أسرهم البيولوجية التي تقدم كافة أوجه الرعاية والتربية النفسية والاجتماعية. فقد أَمَنَ نظام الرعاية البديلة توفير أسر متمكنة قادرة على تعويض الأطفال فاقدى الرعاية الأسرية كل سبل المعيشة والحياة الكريمة، وتعد الأسرة الحاضنة أحد صور نظام الرعاية البديلة والتي يعهد إليها بتقديم خدمات متكاملة تلبي وتضمن الحاجيات الأساسية للأطفال واليافعين المحرومين من الرعاية الأسرية، أو من هم في خطر التعرض لذلك من النواحي النفسية والاجتماعية والتربوية، ويأتي تطبيق هذا النظام ضمن قوانين سلطنة عمان من أبرزها قانون الطفل الصادر بالمرسوم السلطاني رقم (2014/22) ولائحته التنفيذية رقم (2019/125)

إن الدور المنوط للأسرة الحاضنة يأتي في المقام الأول من اعتراف سلطنة عمان بهذه المسؤولية الفعلية التي تقوم بها هذه الأسرة من خلال القوانين والتشريعات الصادرة ويعتبر دعمهم وتمكينهم أحد أهم الأولويات التي تسعى وزارة التنمية الاجتماعية لتحقيقها من خلال تذليل الصعوبات وتيسير الإمكانيات المتوفرة للحفاظ على حقوق الأطفال المحرومين من الرعاية الأسرية بما يعزز نماءهم بصورة متكاملة ومتوازنة. وبما أن الأسرة الحاضنة هي الركن الأساسي في نظام الرعاية البديلة فمن الضروري أن يؤمن لهم سبل الوصول إلى الدعم لحثهم في اكمال دورهم في الرعاية والتنشئة الاجتماعية من خلال تسخير الجهود الحثيثة لتمكين الطفل من البقاء في كنف أسرة حاضنة تدعمه وتحميه وتوفر له بيئة صحية ونفسية واجتماعية وتربوية وتعليمية مشبعة وتعزز كامل قدراته، وأن يعيش كل طفل في بيئة تضمن له الدعم والحماية والرعاية وتنهض بجميع قدراته وهواياته وميوله.

ومن خلال خبرات السنوات المتراكمة المنبثقة عن مؤشرات واحصاءات الزيارات الميدانية والاستطلاعية والمقابلات المكتتبية ظهرت حاجة الأسرة عند اتخاذ قرار احتضان طفل إلى العديد من التوجيهات التعاملات التي تقتضي التعامل مع الطفل المحتضن، ومما لاشك فيه بأن الزوجين عندما يقرران الاحتضان تبدأ خطوات التهيؤ من خلال الاطلاع والقراءة والاستفسار من الأصدقاء وممن سبق له الاحتضان والاختصاصيين كذلك بهدف جعل خبرتهم خبرة ناضجة وإيجابية ويقلل من فرص فشل هذه التجربة، لهذا جاءت فكرة إعداد دليل استرشادي للأسر الحاضنة متمثلاً في أربعة إصدارات موجهة للأسر الحاضنة والعاملين في مجال الرعاية البديلة يتناول الجوانب العلمية والعملية في التعامل مع الطفل المحتضن من فترة الميلاد إلى ما بعد سن المراهقة، ويسلط الضوء على نظام الرعاية البديلة في سلطنة عمان ومهام عمل الاختصاصيين الاجتماعيين والنفسيين العاملين فيه، وأسس مقابلة دراسة الحالة الأسرية لمقدمي طلب الاحتضان، ومراحل النمو العاطفي وأثار الصدمات النفسية لدى الأطفال فاقد من الرعاية الأسرية.

يمكن القول بأن المشكلات السلوكية والنفسية التي يتعرض لها الآباء والأمهات الحاضنين في التعامل مع الأطفال والمراهقين في مرحلة معينة تتشابه مع ممن أنجبوا أطفالاً بيولوجيين كالتعرض للتغيرات النفسية والاجتماعية والدلال والحماية الزائدة بعيداً عن الاستقلالية وتحمل المسؤولية إلا أنه تبقى هناك قضايا خاصة بالأطفال المحتضنين كبناء التعلق الصحي بالوالدين الحاضنين، مكاشفة الطفل عن وضعه الاجتماعي بالأسرة خوفاً من إيذاء مشاعر الأطفال أو التعلق الشديد بهم. وتأتي هذه الإصدارات كمرجعا أصيلاً علمياً موثقاً يمكن الرجوع إليه والاستفادة من الأساليب والممارسات التي تهتم الأسرة الحاضنة والمختص المشرف عليهم.

والله ولي التوفيق

## النمو العاطفي للأطفال المحتضنين ونشأة التعلق بالأبوين الحاضنين

النمو هبة كبيرة جعلها الله في أصل طبيعة الكائنات الحية ومنها الإنسان، وقوة النمو هي التي تجعل الأطفال منذ صغرهم منساقين بفطرتهم نحو إنجاز ما يتطلبه نموهم؛ رغم التحديات التي يتطلبها، ولولا هذا الاندفاع الداخلي نحو ما يتطلبه النمو لكانت مهمات النمو صعبة التحقيق.

يحدث النمو بشكل متسلسل ومرن بناءً على البيئة المحيطة بكل طفل، وبناءً على الاستعدادات الفردية التي زوده الله بها. والأسهل للملاحظة هو النمو الحركي حيث بدايةً يزحف الطفل، ثم يقف، ثم يمشي، وبعدها يركض. ربّما يتأخر هذا أو يُبكر قليلاً حين نقارن طفلاً بآخر، لكنّه تسلسل ينطبق على غالبية الأطفال، ومثل النمو الحركي يكون النمو العاطفي أيضاً على مراحل.

يتطلب النمو العاطفي تكيّفاً للطفل مع بيئته المحيطة به، فإن كانت بيئة مناسبة فإنه يتعلق بأمه ثمّ أبيه، ويبدأ في مبادلتها السلوكيات التي تدلّ على المحبة والتعلق بهما. أمّا إن كانت البيئة غير ذلك فإنّ نموّه العاطفي سيمضي باتجاه الاعتياد على بيئته، والتعامل معها كأنها ثابتة ولن تتغيّر. ومن هنا فإنّ النمو العاطفي للطفل يُمكن أن يتعرّض للخطر وللتحوّل في مسارات متنوّعة، حينما يعترى بيئته المحيطة (الأسرة والأُمّ على وجه الخصوص) نقص في التحفيز والرعاية والتواصل البشري والحبّ المتبادل.

نوصي القارئ أن يطّلع عن النمو العاطفي والاجتماعي للطفل الذي يتربّى في أسرته البيولوجية في مراجع أخرى<sup>1</sup>، وسيجد القارئ المطلع أنّ كثيراً من معالم النمو تكون مشتركة بين الأطفال، سواء كانوا ينشؤون في أسرته البيولوجية أم في أسرة حاضنة.

1- سيتم هنا ذكر عدد من المراجع المتاحة بالعربية للمختصين حول النمو النفس الاجتماعي والعاطفي للأطفال. ويمكن أن يتم إدراج بعض ملفات بي دي اف أيضاً لكتب أو فصول من كتب تتناول هذا الموضوع. مثلاً:

حقي، ألفت. 1992. علم نفس النمو. دار المعرفة الجامعية. الإسكندرية. (موجود الكترونياً أيضاً).

كونزين، بيتر. 2010. البحث عن الهوية. دار الكتاب الجامعي. غزة. فلسطين.

سيوك، بنجامين. 2010. فن الحياة مع المراهق. الهيئة العامة لقصور الثقافة. القاهرة.

القطامي، يوسف. 2000. نمو الطفل المعرفي واللغوي. الأهلية للنشر والتوزيع. عمان. الأردن.

هنا سنركّز على الأطفال الذين تضطّرهم ظروف حياتهم إلى تبديل إقامتهم من أسرة لأخرى، أو لدار رعاية، أو تعرّض أسرهم لتغيّراتٍ مهمّة، مثل غياب الأمّ أو مرضها بشكلٍ يمنعها من أداء دورها، أو أن تُطلق وتتحلّى عن دورها الرّعائي في وسط الخلاف الزوجي الشّديد. فغالبًا ما يعاني الأطفال نتيجةً لذلك من النقص أو التأخر أو حتّى التحوّل الأساسي في مجرى النّمّو العاطفي لديهم؛ ولهذا فإنّ مراحل النّمّو العاطفي قد تسبق أو تتأخّر أو لا تتناسب مع ما نتوقّعه من الطّفل من خلال عمره الزّمني.

تقيّم النّمّو العاطفي للطّفل هو من أهمّ ما يلزم لمن سيحتضنون طفلاً، ولا شكّ في أنّ للمختصّين في هذا دورًا أساسيًا من حيث قدرتهم على تقديم المعلومات اللازمة للأسرة الحاضنة عن مدى نّمّوه العاطفي، وعمّا يُمكن أن يساعد في تسريع هذا النّمّو وتعويض ما يُمكن أن يكوّن قد فاتّه. وهنّا حين نوصّف مهامّ الأبوين فإنّه ينبغي ألا يغيب عن البال أنّ الحاضنة قد تكوّن امرأة عزباء أحيانًا، أو قد يكوّن الحاضن زوجين لم يسبق لهما الإنجاب، أو حتّى زوجين - مع أولادهما البيولوجيين - يحتضنان طفلاً آخر كلّ هذه البنى الأسريّة المختلفة محتمّلة، ولذلك فإنّ الحديث سيصّف الحاضنين أو الأبوين، في حين يكوّن الواقع متنوّعًا، وستكوّن مهمّة المختصّ الاجتماعي أو المختصّ النّفسي الذي يعمل على حالة الطّفل أن يستخدم معرفته وما يقرأ في هذا الاصدار كدعمٍ لخطّته في دعم وإدارة حالة الطّفل قبل، أو بعد قرار إلحاقه بالأسرة الحاضنة. وسيكوّن في عرض كلّ مرحلةٍ من مراحل النّمّو ما يُمكن أن يساعد المختصّ أثناء زيارات المتابعة على ملاحظة سلوك الطّفل تجاه الأبوين الحاضنين، وكذلك ما يُمكنه من تقديم النّصيحة لهما حول مهامّهما لدعم النّمّو العاطفي لطفلهما بما يساعد على إنشاء الارتباط الآمن بين الأسرة والطّفل.

## هل أتى الطّفل إلى عالمٍ مستعدٍّ ومرحّبٍ بوصولهِ؟ (العمر بعد الولادة حتّى البلوغ)

يأتي بعض الأطفال إلى هذه الدنيا ليجدوا أمهات وآباء متشوّقين لوصولهم، مستعدّين لإرضاء احتياجاتهم. لكنّ هناك أطفالاً آخرين يأتون لأمهات غير مستعدّات لهذا، ولا راغبات به، وقد يكون هذا لصغر سنّهنّ، أو لعدم وجود زواج يحميهنّ ويؤمن لهنّ مستلزمات الرّعاية، أو لإصابتهنّ بمرضٍ يعيق أداءهنّ لما هو ضروري ومطلوب لتلبية احتياجات الطّفل.

إن كانت البيئة مرحّبةً، فإنّ الطّفل يكون مرتاحاً، وسرعان ما يبدأ في تشكيل الارتباط<sup>2</sup> والتكيف مع بيئة إيجابيّة منفتحة على تلبية احتياجاته، ولا يعيش فترات طويلة من الجوع أو الوحدة، بل يطمئن في استجاباته، في صوت بكائه، وفي عمق نومه واطمئنانه حتّى قبل أن يتمكّن من أن يدرك ذلك.

حين تكون البيئة مستعدّة وحسّاسة لاحتياجات الطّفل، وقادرة على إشباعها، فإنّ الطّفل سيبدأ في ربط الأمّ التي تُقدّم له الرّعاية بكلّ مشاعر الارتياح وتلبية الاحتياجات. فيتعرّف إلى لمستها، وإلى رائحتها، وإلى شكل وجهها وابتسامتها وتواصلها البصري المريح له، ومن هنا كانت التوصية بقرب الأمّ وتفرضها للطّفل في مرحلة ما بعد الولادة أمراً في منتهى الأهميّة. وحينما يحدث هذا الاهتمام في وقته، فإنّ تشكيل تكيف الطّفل وارتباطه يحدث بيسر، في حين أنّ التأخر في ذلك يجعل الأمر أكثر صعوبةً، وعلى الأغلب سيتحمّم على مُقدّم الرّعاية عند ذلك التّعامل مع نمط التكيف الذي تشكّل لدى الطّفل في ظلّ بيئة (غير حسّاسة، غير أبهة، أو غير قادرة) وهو ما قد ينعكس على شكل إجماعٍ وعدم ثقةٍ بأنّ العالم (الكبار من مُقدّمي الرّعاية) هم مفتاح تلبية الاحتياجات، بل ربّما يصبحون مجرد أداة، يحرص عليها ولا يحبّها، ويقلق من ابتعادهم عنه؛ لأنّه لا يثق بحضورهم وبمحبّتهم.

2- نستخدم مصطلحي الارتباط والتعلق هنا بمعنى واحد ولا نميز بينهما.

## مهام الأبوين أو مَنْ يقوم مقامهما في هذه المرحلة

الملاحظة الحساسة أسلوب فعّال لفهم الأم سلوك ولبيها؛ كي تتمكن من التعرف على أنماط استجاباته وتعتاد عليها وتؤثر فيها وتنمّيها، وهذا يتطلب وقتًا لدى الأمّ الوالدة، ووقتًا أطول منه لدى الأمّ الحاضنة.

تشكيل نمطٍ مُريح وصحّي لتلبية احتياجات الطفل الأساسية (الرضاعة، تغيير الحفاضات، تأمين مكان النوم في وقته).

اللمس والتواصل البصري المناسب مع الطفل، والتفاعل معه إيجابيًا للتعرف إلى إيماءاته وحركاته.

الاستجابة بحساسية للإشارات الدالة على توتر الطفل (حين تكون لديه حاجة، كالجوع أو البرد أو النعاس) والتمكن من تمييزها والتعامل معها بما يهدئ توتر الطفل.

استخدام أسلوب التفاعل الاجتماعي المتبادل مع الطفل، ويبدو هذا على شكل الاستجابة؛ إمّا بالصوت أو بحركات الوجه نحو ما يبدر عن الطفل من أصوات أو حركات، ويؤدي هذا عاجلاً أو آجلاً إلى أن يتجاوب الطفل أيضاً مع استجابات الأمّ.

التجاوب مع مزاج الطفل الإيجابي من أجل إطالة أمده بشكلٍ إرادي.

الحديث إليه  
بصوتٍ مطمئن،  
تكرار اسمه،  
وتسمية احتياجاته  
(نعسان؟ جوعان؟  
بردان؟... إلخ).

تبادل الإشارات  
مثل الابتسام  
لابتسامته، النظر  
في عينيه حين  
ينظر في عيني  
الأمّ.

اللمس الرقيق  
ومراقبة أثره  
على تعبيرات  
الوجه والجسد  
لدى الطفل.

التواصل  
والرغبة به.

حركات الوجه،  
وأصوات الصدى  
التي تُصدرها  
الأمّ تقليداً لصوت  
الطفل.

الحفاظ على إيقاع حياة منزلية منتظمة نسبيًا، مع عدد قليل من المغادرات أو الزيارات خارج المنزل خلال الأشهر الأولى.

إطعام الطفل عند الطلب؛ حيث يحاول الحاضنون من خلال هذا تشكيل نمط يهدأ فيه الطفل، ويُشكّل الثقة بأنّه ستلبّي احتياجاته.

استمرارية إثارة الطفل والتفاعل معه ولو من جهة واحدة، وخصوصًا بالنسبة للطفل السلبي والمنفصل، الذي يفضل التحديق بمفرده. لاسيما هذه الفئة من الأطفال قد يستغرق الأمر وقتًا أطول إلى أن يتفاعل ويُظهر استجابةً ما

ضرورة الصبر والبقاء مع الطفل الذي يصرخ ولا يهدأ، وتعلّم ضبط النفس رغم صوت صراخه المزعج، وينبغي تجنب تركه بمفرده لفترة طويلة، فرعاية الحاضنين تساعد هذا الطفل على عدم الشعور بالإهمال والرفض والوحدة.

الحُد من استخدام غرباء لرعاية الطفل (المربّيات - عاملات المنازل)، وعندما يكون ذلك ضروريًا للغاية، مثل ضرورة عمل الأم أو دراستها ينبغي ترتيب الرّعاية لتكوّن في منزل الطفل، وفي هذه الحالات ينبغي تجنب تبديل الشخص القائم على الرّعاية ما أمكن.

وحيث يكون الطفل في أسرة مستقرّة منذ الولادة فإنّ مسار النّمّو الانفعالي يسير مع العمر الزمّني جنبًا إلى جنب، ويتمكّن الأبوان والطفل من تحقيق الهدف النّمائي للمرحلة، أمّا حين تُنقل حضانة الطفل (بعد عدّة أشهر من الولادة أو بعد الولادة إلى دار رعاية) فإنّ الطفل قلّمًا يُحقّق تسايّرًا في النّمّو العاطفي مع العمر الزمّني. يبدأ بعض الأطفال في تحقيق هذه الأهداف في عمر متأخّر ما بيّن سنة إلى ثلاث سنوات، وهنّا تكون مهمّة الأمّ الحاضنة أصعب كلّما امتدّ العمر الزمّني دون تشكيل التعلّق المناسب. بكلّ حال، سيكون على الأمّ الحاضنة العودة إلى تحقيق هذه المهام بَعْضَ النظر عن العمر الزمّني للطفل.

## مؤشرات الاضطرابات في المرحلة الأولى من النمو العاطفي عند الأطفال الرضع:

لا "يستقرُّ" الطُّفْل في القيلولة والأكل والنُّوم رغم مرور فترةٍ أوَّلِيَّةٍ مدَّتْها ستَّة أسابيع.

يبدو الطُّفْل متحفِّزًا أو متوتِّرًا بشكلٍ مُفرط، أو سلبِيًّا للغاية دُونَ تفاعلٍ مع ما حَوْلَه.

يقوِّس الطُّفْل ظَهْرَه بدلًا من الاسترخاء في حُضنِ الأمِّ (أو الأب).

قد لا يكوُن لَدَى الطُّفْل - الَّذِي يبلغ من العمر ثلاثة أشهر أو أكثر - القدرة على التَّفَاعُل مع الأبويْن. خلال وقت

الرَّضاعة، لا يقوم الطُّفْل الصَّغِير بالاتِّصَال البصري، ولا يبتسم أو يُثرثر أو يبتنِّع الأمِّ بَعِيْنَه.

يرضع الطُّفْل كميَّة مُفرطة أو قليلة بشكلٍ غير طبيعي.

بالنسبة للطُّفْل الَّذِي انتقل في الأشهر القليلة الَّتِي تَلَتْ الولادة، يبدو أَنه قد فقَدَ أو تراجعَ عن خطوةٍ نمائيَّةٍ كان قد

أحرزها قَبْل احتضانه، مثل أن يرفض الرَّضاعة الطبيعيَّة من الأمِّ الحاضنة مع أَنه كان يرضع من امرأةٍ أُخرى

سابقًا، أو لا يتَّخذ وضعيَّة مُسترخيةً أثناء النَّوم (نكوص).

## مؤشرات الاضطرابات في المرحلة الأولى من النُّمُو العاطفي لدى الأطفال الصَّغار أو الأكبر سنًّا:

- يُظهر الطُّفْل قدرةً ضئيلةً أو معدومةً في البقاء مع الأبوين.
- لا يستخدم الأمُّ كقاعدةٍ آمنةٍ للحماية عند حدوث التجارب الجديدة (ظهور مثيراتٍ جديدةٍ مثل أشخاصٍ جُدد، أو صُدور أصواتٍ جديدةٍ تُفزعُه).
- يحاول السَّيطرة على جميع الأطعمة وتناول الطَّعام دُونَ قَبول مساعدة الأمِّ.
- هناك اتِّصال بصري قليل أو معدوم.
- يستخدم الطُّفْل أساليبه الخاصَّة للتَّهدئة قبل النَّوم، بما في ذلك ضربُ الرَّأس والهزيز أو مصُّ الأصبع وغيرها من أشكال التَّهدئة الدَّاتية مع رفض محاولات الأمِّ لمُعانقته وتهدئته.
- ينغلق الطُّفْل عاطفيًّا ولا يبحث عن الأمِّ عندما يشعر بالضيق.
- لا يعرف كيفية بدء أو الحفاظ على اللُّعب مع الأبوين أو الأطفال الآخرين.
- لا يميل على الأمِّ (يَتكى على الأمِّ) عندما تحمله.
- ينفُر الطُّفْل من لمسِ الأبوين، وهي إشارة إلى أنه نادرًا ما لمسَ من قَبَل أو لمسَ بشكلٍ غير لائق. (هذا أمرٌ شائع بشكلٍ خاصٍّ في الأطفال من دُور الأيتام).
- الطُّفْل يقظٌ (متوتِّر) للغاية في مُحيطه.
- يُبالغ في ردِّ فعله (يجفل) على التَّحفيز الخفيف (كاللمس اللطيف لباطنِ قَدَمه).
- لا ينامُ أو لا يبقى نائمًا بسهولةٍ (نومٌ حذرٌ غير عميق).
- يُظهر الطُّفْل تغيُّرات مزاجية سريعة التقلُّب، يبكي أو يغضب بدون سببٍ.

في حال وجود بعض هذه الإشارات فإنّ هذا سيعني أنّ الدّعم للأُمّ الحاضنة سيُكون أمرًا أساسيًا؛ لتتمكّن من التّعامل مع هذا الوضع من حيث تزويدها بالمعلومات، وتقديم الدعم النّفسي وربّما حتّى الدّعم المنزلي لها أيضًا؛ لتتمكّن من تجنّب الإحباط والشّعور بالفشل أو الذّنوب. ويُمكن للمختصّ الاجتماعي أن يحرص على دعم الأبوين الحاضنين بالآتي:

تأمين الدّعم الاجتماعي: يطلب المختصّ الاجتماعي من شخصٍ ما (الجدة أو الحاضنة السّابقة أو شخص مطّلع على الحال) أن يتحدّث مع الأبوين هاتفيًا، أو يقومَ بذلك بنفسه أيضًا بين فترةٍ وأخرى، ويدعمهما بالحديث الطيّب والتّناء على جهودهما أثناء قيامهما بعملٍ جيّد مع الطّفل.

تعليم الأمّهات استخدام الحديث الدّاتي المفيد، مثل "أنا أقوم بعملٍ جيّد مع طفلي جيّد، ولكنّه يحتاج مزيدًا من الوقت ليطمئنّ إليّ ويتعلّق بي".

إنّ الرّضّع والأطفال الذين نُقلوا أو الذين كانوا في منازل تحدّث فيها أفعال عنيفة أو خطرة يُكون دماغهم في حالة تأهُّب قصوى، لا ينجم هذا الحال عن خطأ ترتكبه الأمّ الحاضنة، وينبغي ألاّ تلومَ نفسها بما يحدث.

## ملخص المرحلة الأولى

في المرحلة الأولى من النّمّو العاطفي، يُحدّد الأطفال ما إذا كان العالم آمنًا أو مُعاديًا لاحتياجاتهم الاجتماعيّة والجسديّة، ويتعلمون كيفيّة إعطاء الإشارة (البكاء مثلاً) من أجل تلبية احتياجاتهم في عالمهم، كما يبدوون في تطوير تفاعلاتهم الاجتماعيّة البسيطة، وتُصبح ردود فعلهم "مترابطةً مع البيئة المحيطة" إمّا لعالم يُمكن التنبؤ به ومُثير للاهتمام والرّعاية، أو لمواجهة عالم يستدعي القلق باستجاباتٍ سريعة وقصيرة الأجل وفترةٍ من الانفصال (التجمّد). يُنشئ دماغ الطّفل المزيد من ردود الفعل من أجل مساعدته في نوع العالم المُحيط به، إنّه يشدّب السلوكيات (والوصلات العصبيّة المنتجة لردود الفعل) التي لا يبدو أنّها ضروريّة. ونتيجةً لذلك، يتعلم الأطفال أن يُكونوا إمّا فضوليين واجتماعيين أو قلقين وحزينين، وربّما متجمّدين وهم يستعدّون للانتقال إلى المرحلة الثانية

## قائمة بالمهام العاطفية في المرحلة الأولى

ينبغي أن تكون هذه العواطف والسلوكيات ظاهرة على الطفل أو الرضيع الذي يكمل المرحلة الأولى بنجاح:

يتواصل الطفل مع الأم.

يراقب الطفل أمه وهي تتحرك في جميع أنحاء الغرفة.

يحبُّ الطفل ألعاب أو مداعبات الأبوين

يهدأ الطفل مع تدخلات الأبوين معظم الوقت.

يبدو أنَّ الطفل يحبُّ الأم.

يفضل الطفل أن يكون مع الأم على أن يكون وحيدا.

عندما يشعر الطفل بالضيق، ينظر إلى الأم، ومع البكاء، يبدو أنه يتوقع من الأم المساعدة.

## هل ستكونين يا أمي معي دائماً؟ (سن 6 أشهر - 20 شهراً)

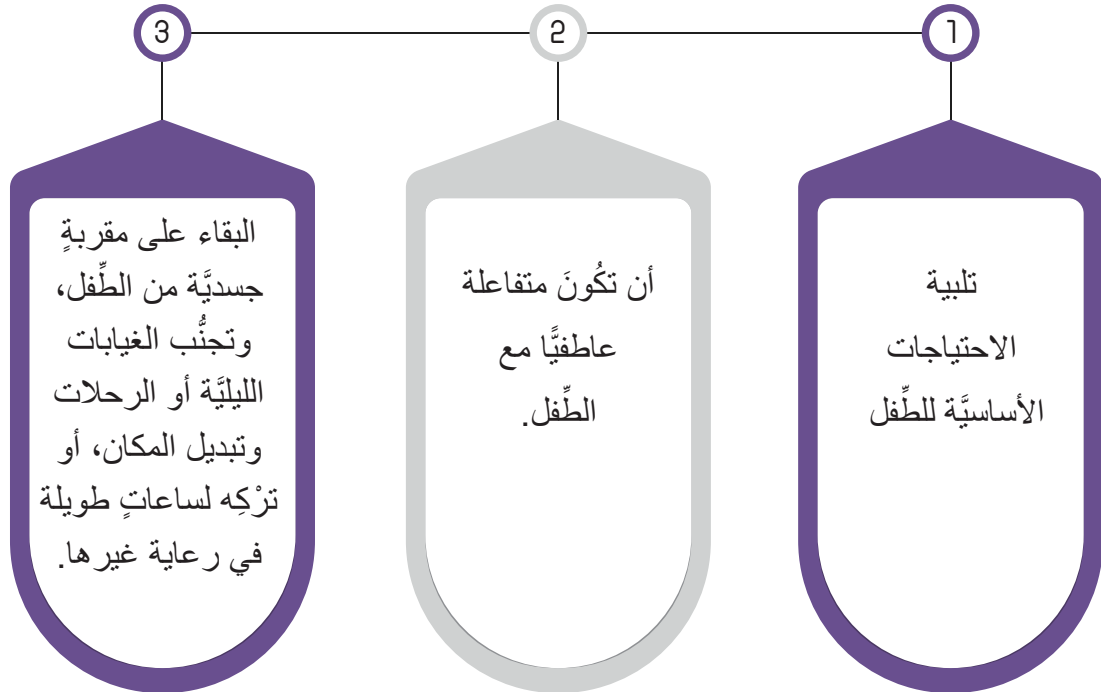
يُشكّل الأطفال ارتباطاً حصرياً مع مُقدّمي الرّعاية لهم، عندما لا تُكوّن هناك عقبات أمام التعلّق (مثل الانتقال من رعاية أمّه البيولوجيّة إلى رعاية مؤسّسية أو أمّ بديلة) فإنّه يميل إلى الانتقال إلى هذه المرحلة في عمر زمني حوالي (6-9) أشهر، ويُنتهيها في عمر (16-20) شهراً (هناك فروق فرديّة طبيعيّة لعدّة أشهر). لفترةٍ من الوقت خلال هذه المرحلة، قد لا يرغب الطّفل في الابتعاد عن الأمّ - حتّى لمغادرة الغرفة، يصابُ بالذّعز إذا اختفتِ الأمّ عن بصره للحظاتٍ (قلق الانفصال، التعلّق الشخصي). ومع ذلك، بحلول نهاية المرحلة، سيعتقد الطّفل أنّه يُمكن النّفّث في عودة الأمّ، فالإيمان بموثوقيّة الحاضنين يُعزّز اعتقاد الطّفل بأنّه طفلٌ جيّد ويستحقّ العودة إليه.

يبدأ الرّضّع أو الأطفال المرحلة الثانية جاهزين للتعلّق، حيث يكملون المهارات التي سيستخدمونها لبقية حياتهم في تكوين العلاقات، وفيها شعورٌ قويٌّ بالانسجام لدى الأطفال والآباء والأمّهات الذين يُشكّلون ارتباطات إيجابيّة عندما يكونون في هذه المرحلة - ويشعرون بأنّهم "متوافقون أو متآلفون مع بعضهم". يشعُر الأطفال الذين يُكوّن لديهم تعلّق إيجابي وآمن بأنّهم معزولون (محميّن) بشكلٍ مُريح عن العالم. وتظهر لديهم القدرة على تنظيم العواطف السليبيّة (مثل الألم، أو الذّعز) باستخدام الأمّ كحُصنٍ مساعدٍ ومُعزٍّ وهذه هي المرحلة التي يتحدّث فيها النّاس عن طفلهم الذي يعاني من بعض "القلق الغريب" أو قلق الانفصال، حيث يريد الطّفل شخصه الخاصّ الذي هو عادةً أمّه.

## مهام الحاضنين خلال المرحلة الثانية:

في هذه المرحلة لن يكون من المفيد تقديم رعاية (ولو كانت جيدة) من قبل سلسلة من الأشخاص عوضاً عن مُقدّم رعاية واحد؛ لأنّ الرضيع أو الطّفل يحتاج إلى شخصٍ بالغٍ يوجد معه دون انقطاعٍ حتّى يُمكن ربطه به، وتحتاج (الأمُّ) إلى تكريس سنّة أشهرٍ على الأقلّ من تقديم الرّعاية الثابتة حتّى يتمكن الطّفل من الانتقال عبّر هذه المرحلة بنجاح.

كما يُمكن للأُمّ إعطاء الطّفل هديّة مدى الحياة، وتمثّل في القدرة على النّثّة والاعتماد على الأشخاص الذين يستحقّون النّثّة، ولتحقيق ذلك ينبغي على الأمّ ما يلي:



ويجب إدراك أنه إذا كانت الأمّهات أو مُقدّمات الرّعاية يُعانين من الصّدمة، أو الاكتئاب، أو التّهديد العاطفي، أو التّهديد الجسدي، أو تعاطي الكحول، أو المخدّرات، فإنّهنّ سوف يتسببن في نشأة أسلوبٍ تعلق لدى الأطفال يتميّز بعدم النّثّة والارتباك.

من ناحية أخرى تنجح الأمهات والحاضنات الكفوآت والسويآت في أن يُشكّلن تعلقًا إيجابيًا وآمنًا لدى الطّفل بهنّ. فالأطفال الذين يُعتنى بهم بهذه الطريقة يشعرون بالتّفؤل الناتج عن العلاقات التي يُمكن إرجاعها إلى هذه المرحلة، حتّى لو حدثت كوارث لاحقة في الحياة الشخصيّة للطّفل فإنّ وجود ارتباط إيجابي وآمن في هذه المرحلة يؤدّي إلى فوائد عاطفيّة يُمكن أن تساعد في تعويض الضّرر وتجاوز المواقف المؤلمة.

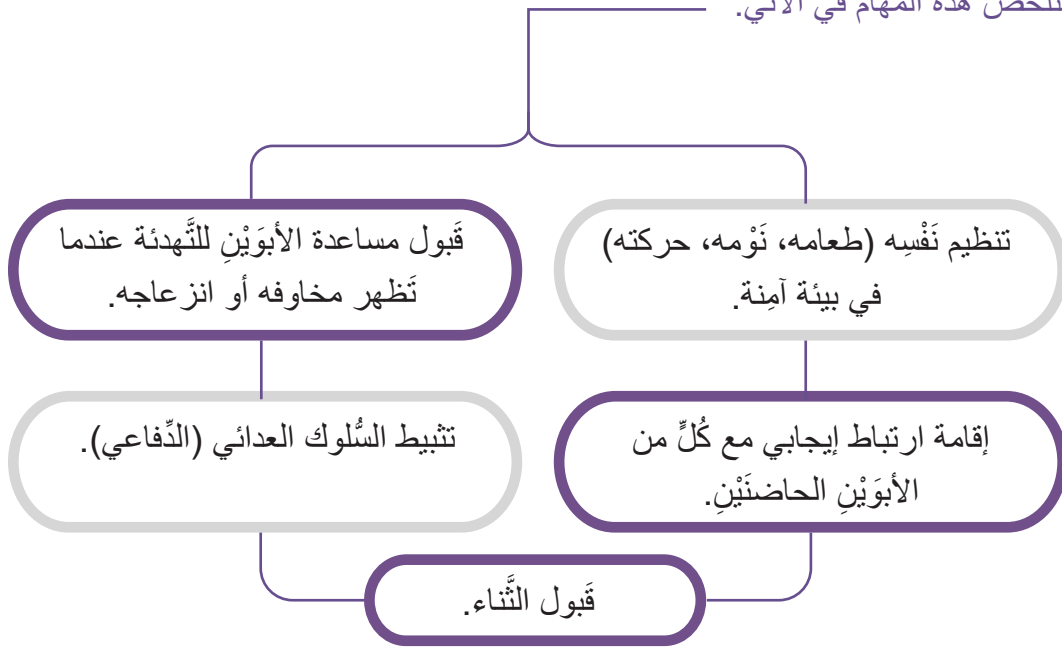
وفي حال انتقال الطّفل بعد أن شكّل ارتباطًا جيّدًا وآمنًا مع أمّه البيولوجيّة لسبب ما (مرض أو أيّ سبب لنقل الحضانة) أو انتقال من دار حضانة عموميّة إلى أسرة حاضنة، فإنّ على الأمّ الحاضنة أن تتعلّم من الأمّ (البيولوجيّة أو الحاضنة السّابقة) طقوس الارتباط التي تساعد على نقل تعلقه من حاضنته السّابقة إلى أمّه الحاضنة، بل قد يكوّن من المفيد - لو كان ذلك متاحًا - أن ترافقها لفترة حتّى تتمكّن من استخدام الروتين نفسه مع الطّفل لتشجّع على نقل تعلقه إليها فيما بعد. ومن هنا يُمكننا أيضًا أن نفهم أنّ الطّفل الذي يُشكّل ارتباطًا غير آمن سينقل أسلوبه هذا إلى طريقة تعامله مع أمّه الحاضنة، وستحتاج إلى وقتٍ كيّ تتمكّن من كسب ثقته بها وتعديل أسلوب التعلّق.

وفي مثل هذه الحالات ينبغي أن تتعرف الأسرة الحاضنة الجديدة على مهمّتها في نقل التعلّق، والتي ستتطلب منهم جهدًا كبيرًا بحيث يُصبح عليهم الانتباه إلى رعاية أنفسهم أيضًا وعدم التعرّض إلى الإنهاك العاطفي والجسدي. وهو ما يُمكن تلخيصه في نقاط على النّحو الآتي:

- إعطاء الطّفل علامات التقبّل غير المشروط، في أعينهم وكلماتهم وإيماءاتهم؛ خصوصًا حينما تدلّه خبراته السّابقة على أنّه لم يَكُن موضع ترحيب حقيقي في العالم.
- استخدام مبادئ الرّعاية الدّائيّة للأبوين الحاضنين حتّى يتمكّن من الاستمرار في رعاية الطّفل.
- توفير مفاتيح التعلّق الحسيّة والحركيّة للطّفل، لتصبح طريقته الأساسيّة الجديدة للشعور بالقرب من أبويه
- العثور على طرق اختراق العناد والمقاومة عند الطّفل (مثل التشنّج وتقويس الظهر لدى محاولات ضمّه أثناء إرضاعه)، ليتمكّن من أن يجرب القرب كشيء إيجابي وغير مهّدّد.
- التعرّف إلى الأشياء التي توتر الطّفل ومحاولة عزله عنها قدر الإمكان، ومساعدته لكيّ يجد طرقًا بديلة عن الغضب أو الانفصال العاطفي.

- تحييد آثار السلوكيات السلبية للطفل (كي لا تعزز من شعوره بعدم الأمان).
- مساعدة الطفل في أن يجد في رعايتهما (الأبوين) له سبباً للسُرور والإثارة والاهتمام.
- التركيز على اللعب بدلاً من السيطرة.
- قبول وتعزيز ارتباط الطفل الإيجابي بحاضنته السابقة أولاً، وبأمه الحاضنة لاحقاً.
- تعليمه كيفية الاقتراب من خلال إشارات وإيماءات تدلُّ على القرب أو البُعد والمناوبة بينهما بمسافة آمنة.

وسيكونُ على الطفل في هذه الحالة أن ينجزَ مهامَّ نموِّ أساسية ليتمكنَ من تجاوزِ هذه المرحلة، وتتلخَّص هذه المهام في الآتي:



## ردودُ فعلِ الأطفال على نقلِ حضانتهم في المرحلة الثانية

يُظهر الأطفال الذين نُقلوا من مُقدِّم الرِّعاية الذي رُبطوا به - حتَّى لو لم يكنِ التعلُّقُ آمناً - ردودَ الفعل الآتية عند نقلهم في هذه المرحلة وهي:

- قد يضرب الطفل وجه الأبوين الجديدين، أو يقوِّس جسده عند الإمساك به، أو يتجنَّب التواصل البصري، أو يستخدم التواصل البصري مع الحاضنة فقط أثناء الصراخ.
- يبدو الطفل وكأنه لا يزال يبحث عن شخصٍ ممَيِّزٍ مفقود.
- قد تضع مكاسبه النَّمائية السابقة، وقد يبدو الطفل مذهبولاً، أو في حالة صدمة، مع ميلٍ للانسحاب.
- قد ينام كثيراً أو قليلاً جداً.

يفقد الطُّفْل قدرته على التنبُّوِّ بالبيئة، والَّتِي هي مُقدِّمة للتفكير المنطقي، وربط السَّبب والنتيجة. ويُصاب مُعظم الأطفال المحتضنين الَّذِينَ نُقِلوا بَيْنَ العائلات بالمرض؛ ما يمنح الحاضنين الجُدد فرصة لإثبات رعايتهم بَيْنَمَا يَكُونُ الطُّفْل في حاجة أكثر للاعتماد عليهم.

يبدو الطُّفْل مكتئبًا أو منفعلًا، ويتحوَّل من نشاطٍ إلى آخر بسرعة، وقد يُفرط في النَّوم، ويتصرف بعصبية يُفرط أو يُقلُّ من تناول الطَّعام.

يتصرَّف ويَنظر حَوْلَه بشكلٍ محموم كما لو أَنه لا يُمكنه أن يهدأ.

## بعض التقنيَّات الَّتِي تُعزِّز التعلُّق خلال المرحلة الثانية من النُّموِّ العاطفي

من الجيِّد استخدام التقنيَّات الَّتِي وردت في المرحلة النَّمائيَّة الأولى، فعادةً ما ينكص الأطفال (أي يتراجعون إلى أشكال سلوك سابقة أصغر من نموِّهم) من الناحية النَّمائيَّة عندما تتغيَّر أماكن إقامتهم أو يتغيَّر الشَّخص الَّذِي يرعاهم، وقد يتضمَّن هذا مثلًا العودة إلى التبوُّل اللَّيلي بعدما كان قد تخلَّص منه، أو العودة إلى الرَّحف بعد أن كان قد صار يمشي مع مساعدة)، وستحتاج الأمُّ في هذه الحالة إلى التحرُّك معه إلى الورااء ومساعدته على التقدُّم إلى الأمام مرَّة أخرى.

يجبُ على الأمِّ حَمْلُ الزجاجة أثناء الرُّضاعة، والحفاظ على اتِّصال بصري واستخدام وضع رضاعة مُريح، وحتى لو كان الطُّفْل قادرًا على حَمْلِ الزجاجة، فيُمكن للأمِّ استخدام هذه الفرصة القويَّة لبناء التعلُّق. على الرَّغم من أنَّ الطُّفْل قد "انتقل" إلى الشُّرب من كوب، فمن المُفيد العودة لاستخدام الزجاجة مرَّة أخرى لقيمتها في إنشاء الترابط مع الأمِّ الجديدة.

أن تربيَت الأمُّ على راحتي الطُّفْل أو باطن قَدَمِيه أثناء التحدُّث إليه أو احتضانه، فهذا أثرٌ قويٌّ في حثِّ الطُّفْل على الانتباه والتعلُّق.

الإصرار على المزيد والمزيد من التواصُل البصري كُلَّما طالَت فترة بقاء الطُّفْل في المنزل، وتحرص الأمُّ على أن تتبَّع كُلَّ تواصُل بصري بمكافأة الطُّفْل بالابتسامات واللَّعب والعناق.

من المُفيد أن تُعمَل صوَر مبهجة للطُّفْل مع أبويهِ الجديدين، ممَّا يُشيع المعنويَّات العالية، كما من المُفيد أيضًا تكبير بعض الصوَر لتعليقها على الجدران في غرفة الطُّفْل.

على الأمِّ أن تنتهز كُلَّ قُرْبٍ للطُّفْل مِنْهَا لمداعية خدوده؛ وذلك لأنَّ الخدود مناطق حسَّاسة تدفع الصَّغار إلى التعلُّق، لا بأس بذلك بكثرة في هذه المرحلة للطُّفْل، أمَّا في الحالات المعتادة فيُنصح بالاعتدال في ذلك، ولكن هُنَا يُلزم تعويض الطُّفْل ما فاتته من تعلُّق في المرحلة الأولى.

التأكيد على أنّ الأمّ تُعوّد دائماً، خصوصاً بالنسبة للطفل الأكبر سنّاً من (سنتين أو ثلاث) والذي يمرُّ بهذه المرحلة، وينبغي استخدام كلمات واضحة تقول له أمّه فيها إنّها سترجع.

المحافظة على وجود الطفل مع الأبوين قدر الإمكان، مع تحاشي استخدام غرباء لرعايته خلال هذه المرحلة إذا كان الطفل قد عانى من الإهمال والهجر فإنه يميل إلى أن يكون هشاً وضعيفاً في هذه المرحلة. وإذا كان لا بُدَّ للأمّ من أن تستعين بأحدٍ للرعاية، فيجبُ عليها الاستعانة بشخصٍ دائمٍ يأتي إلى المنزل ويجعل روتين الرعاية قصيراً قدر الإمكان، ولا ينبغي أن يمنع هذا من إجراء تقييمات التخصص والبدء في العلاج السلوكي أو علاج النطق عند اللزوم بعد أن يعرف الأطفال من هم الأشخاص المميّزون ويرتبطون بالأبوين، يُمكنهم تحمّل الانفصال، عندما يعلمون أنّ أبويهم سيعودان.

## ملخص المرحلة الثانية

يتشكّل لدى الأطفال الذين أكملوا المرحلة الثانية نموذجٍ دائمٍ لكيفية التواصل في الأسرة. فهم في هذه المرحلة يتعلمون قراءة الإشارات على وجوه والديه فيما يتعلق بمعنى الأشياء من حولهم، وأيضاً يطورون مهارات العلاقة للتواصل مع الآباء الغاضبين أو الأمنين أو غير المباليين، على التوالي. الأمر الذي يتطلب شخصية أمّ متسقة تستطيع القيام بمهام المرحلة الثانية، والتي تُشكّل علاقة حصرية مع أحد الأبوين (الأمّ غالباً). كما تتشكّل في هذه المرحلة معتقدات أساسية حول جذور العلاقة الحميمة وقبول الذات.

## قائمة بالمهام العاطفية في المرحلة الثانية

تساعد هذه القائمة المختصين أثناء زيارات المتابعة لمعرفة تقدم الطفل في مهام المرحلة الثانية:

يُفضّل الطّفل الأمّ لتهدئته والعناية به عندما  
يكونُ مُصابًا أو مريضًا.

يقوم الطّفل بأشياء لطيفة من أجل جذب  
انتباه الأبوين.

بيّنسم الطّفل ويضحك مع الأمّ مع اتّصال  
بصريّ كامل.

يُحبُّ الطّفل احتضان الأبوين.

غالبًا ما يحتجُّ الطّفل على ابتعاد الأبوين.

ينتلع الطّفل إلى الأبوين للاطمئنان (كأنّه يستشيرُهما أو يستمدُّ  
موافقتهما) في المواقف الغريبة.

## الاستقلالية (سن 30 شهر 42- شهرًا)

بعد أن يُشكّل الطّفل تعلقًا حصرًا مع الأمّ، فإنّ مهمّته في المرحلة الثالثة هي تطوير وعيه بنفسه، أو استقلالته. ويدخل الأطفال الذين لم يواجهوا أيّ تحديات استثنائية في حياتهم هذه المرحلة - كالانفصال عن الأمّ - خلال النّصف الثاني من السنّة الثانية من العمر، ويكملون هذه المرحلة بعد حوالي عام واحد

في المرحلة الثالثة يُلخّص اعتراف الأطفال بأنّه يُمكن أن تكون لديهم إرادة مختلفة عن إرادة والديهم في كلمة واحدة "لا!" ويُمكن أن يكون هذا مسليًا للأباء والأمّهات، الذين يواصلون "المناقشات" حين يرفض الطّفل شيئًا يعرفون أنّه يريدُه مثل هذا: "عدنان، هل تريد الخروج للتأرجح على الأراجيح؟" فيجيب بسرعة: "لا!".

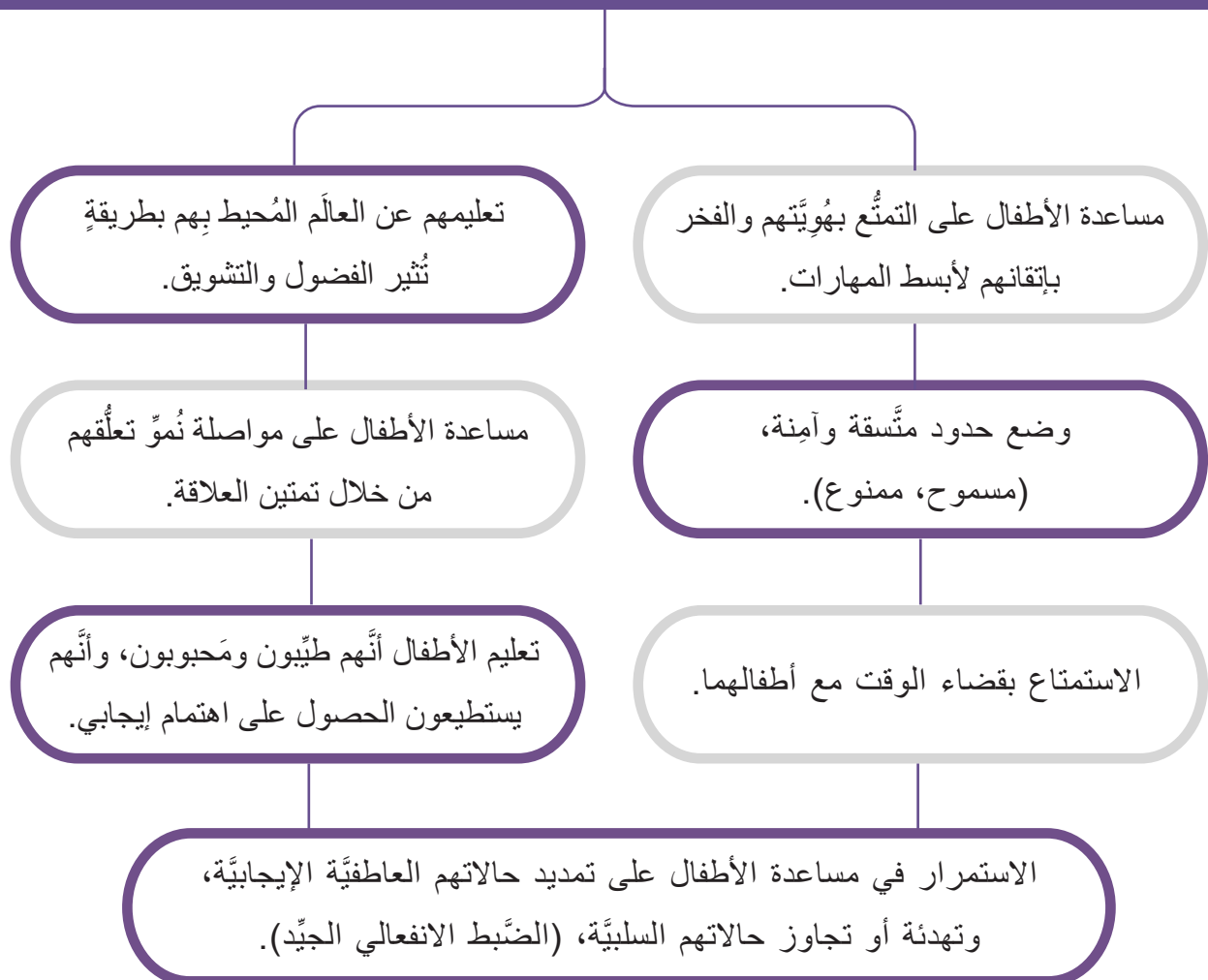
قد يذهب الأطفال بعيدًا من أجل إثبات أنفسهم كمستقلين في هذه المرحلة، ولكنهم عادةً لا يذهبون بعيدًا جدًّا. فهُم ما زالوا يريدون التقارب والجلوس في سريرهم، واللّعب بالألعاب والغناء والقصص. كما أنّهم يستمرون في معرفة المزيد عن والديهم وأنفسهم وبينون علاقات، وليس بناء جدار، على سبيل المثال: قد يجادل الأطفال الذين يأتون إلى المرحلة الثالثة في سنّ متأخرة حول مكان المشي مع آبائهم، لكنهم ما زالوا يريدون أن يأتي أبائهم معهم.

إنّ الأب أو الأمّ الحكيمين لا يعيبان بشكلٍ مفرطٍ على الأطفال الذين هم في هذه المرحلة، ولا يببالغان في ردّ الفعل، وفيها يُمكن للأبوين الاهتمام بخيارات أطفالهما كتعبير عن جزءٍ من هويّة أطفالهم؛ فعلى سبيل المثال، قد يرغب الصّبي في ارتداء قميص بأكمام قصيرة وعدم لبس سترة في يوم بارد، وفي هذه الحالة يُمكن لأحد الأبوين الردّ بالآتي: "حبيبي أعرف أنّك طفل قوي، بالطبع، ولكن بصفتي أمًّا عظيمة وأخاف عليك يجبُ أن أجعلك ترتدي معطفًا، يالي من أمّ إذا لم أكنُ سأعتني بك جيّدًا، شكرًا لمشاركتك مدى قوتك، على الرّغم من ذلك".

الأطفال في هذه المرحلة، الذين تتراوح أعمارهم أيضًا بين سنة ونصفِ وسنتين ونصفِ، يُحقِّقون المهام الآتية:

1. يعرفون هُويَّتهم الأساسيَّة؛ الاسم والعمر، صَبِي أو بِنْت.
2. يتعلمون القواعد المنزليَّة ويحتاجون إلى طقوس (أفعال متكرِّرة تدلُّ على أنَّهم يفهمون القواعد ويقومون باللازم).
3. يُحِبُّون تكرار أسماء أفراد العائلة، وأفراد الأسرة هُم هُويَّة هذا الطِّفل. فبعض الأطفال لا يتحوَّلون بسهولة إلى أسرهم الجديدة.
4. يبدؤون في السَّيطرة على عالمهم من خلال اللُّغة.
5. يبدؤون في معرفة الأسباب والنتائج، على سبيل المثال: عندما تلتقط أُمِّي أو أبي حقائبهما، سيخرجان من الباب، أو أنه عندما يرنُّ الهاتف، سنُغادر أُمِّي، ممَّا يُحرِّر الطِّفل من الإحساس بالفضول والجهل بما هو قادم.

### مهام الأبوين في المرحلة الثالثة تشمل ما يلي:



الأطفال الذين يوجدون في هذه المرحلة في سنّ زمنيّة أكبر سوف يتوقون أيضًا إلى بعض هذا التعلّم المتكرّر بطريقةٍ قد تبدو غير مناسبة للعمر الزمني، حيث إنّهم يُحبّون الطقوس، ويحتاجون إلى قواعد وهيكل، ويُفضّلون معرفة ما سيأتي بعد ذلك. كما أنّهم بحاجة إلى معرفة الكلمات الرئيسية لاستخدامها من أجل توفير بعض السيطرة على عالمهم. ويتوقون أيضًا إلى معرفة مَنْ هم أفراد أسرّتهم، وسماع أسمائهم الخاصّة في السّياق الأسري الجديد والقديم؛ فعندما يُحتضن الأطفال الأكبر سنًا، لفترةٍ من الوقت، سيتعيّن على الآباء ذكر أفراد عائلتيّن في قائمة أفراد أسرة الطّفل.

يتعلم الأطفال خلال هذه المرحلة بعض الحدود الأساسيّة؛ حيث يستسلمون تدريجيًا لوضع قيودٍ على جميع رغباتهم. ويحبّون ويريدون إرضاء الآباء، ممّا يساعد على توجيه أفعالهم، وبالقدر نفسه من الأهميّة، يوفّر الآباء حدودًا سلوكيّة، تجعل الأطفال يقرّرون اتّباع التّعليمات الأساسيّة في المرحلة الثانية، بعُضّ النظر عن العمر، كما يتعلمون إرضاء الأب، ويبدؤون في التنبؤ باستجابة الأب. وفي المرحلة الثالثة يواصل الأطفال البناء على هذه المعرفة، ويتعلمون أنّهم يشعرون بعدم الارتياح عندما يشعر الأب بخيبة أملٍ.

في بعض النّواحي، تُشبه هذه المرحلة تشكيل الهوية للمرّاهق. إذ إنّ موضوعات الهوية ليست متطوّرة في هذه المرحلة كما هو الحال في المراحل العاطفيّة للمرّاهقين، التي يستعدّ فيها المرّاهقون لتأكيد أنفسهم على أنّهم مستقلّون عاطفيًا؛ حتّى يتمكّنوا في النّهاية من مغادرة المنزل. فهؤلاء الأطفال الأصغر سنًا يؤكّدون أنفسهم ببساطةٍ على أنّ لهم القدرة على مخالفة رأي الأمّ فقط.

عندما يُنقل الأطفال إلى أسرة جديدة في هذه المرحلة، يصعب على الآباء تحديد ما إذا كان الأطفال يتفاعلون بشكلٍ طبيعي في المرحلة الثالثة؟ أم أنّهم يُظهرون علامات تدلّ على صعوبات التكيّف؟ ويحدّث في الواقع أن يقوم الآباء بمعاقبة الطّفل احتجاجًا على هذا العناد وعدّه رفضًا للارتباط بالأبوين الجديدين. في حين يُمكن أن يكون كافيًا تمامًا أن نُخبر الطّفل أنّه يقول شيئًا خاطئًا، وأنّ الحرارة في الغرفة منخفضة ويُسّحسن له أن يلبس ثوبًا مناسبًا كي لا يبرد.

في المقابل، ينبغي الانتباه أيضًا إلى أنّه قد يحدث العكس بعد نقل الطّفل إلى منزلٍ جديد خلال هذه المرحلة، فبعض الأطفال يخشون من قول "لا". ويُمكن للأطفال أن يظنّوا أنّهم خسروا معركة السيطرة مع حاضنيهم السّابقين، ونقلوا نتيجةً لذلك.

## تقنيات للمساعدة على تقوية التعلق في المرحلة الثالثة:

لا بأس في الاستمرار باستخدام الأفكار من قوائم المرحلتين الأولى والثانية السابقتين، والتغذية بالرضاعة، والضّم مع الهزّ، وتمسيد باطن القدم، والتواصل البصري، والحركة، واللعب في روتين اليوم.

يساعد الأيوان الطفل بأن يحافظ على روتينه اليومي من خلال خياراته المحببة. عادةً ما يحتاج إلى "الكوب الأحمر، ولعبة القطار" لتناول الطعام، وعلى سبيل المثال؛ الآباء الذين لديهم تقبل لخيارات أطفالهم يجعلون الأطفال يشعرون بالقبول.

أطفال المرحلة الثالثة يُحبون الثناء عادةً، سيكون من المناسب إبداء الإعجاب بمدى قوته في إتقان نشاط ما، بدلاً من الإشارة إليه مباشرةً على أنه يستحق الثناء.

قد يكون لدى الأطفال صورة ذاتية "سيئة". كالشعور بالعار الداخلي، الذي يُغذي في الطفل شعور "أنا سيء"، ممّا يجعل التعلق صعباً على الأطفال وعلى الأهل كذلك. فالآباء المصممون سيجعلون القضية أنهم يقبلونها في كل الأحوال، وسيشعر الأطفال فيما بعد - ولو بعد حين - بأنهم مقبولون.

ربّما يكون الطفل قد تعلم عند محاولة الاقتراب، بأنه تعرّض للجرح وقوبل بالرّفص أو الاستجابات غير المتوقّعة. حينها يساعد الآباء الطفل على إيجاد الشجاعة للمحاولة مرّة أخرى من خلال إخبار الطفل بوضوح أنهم آباء جيّدون وآمنون، إذ يُمكن تدريب الأصدقاء على المساهمة بتعليقاتٍ مثل: "يا لها من أمّ طيبة!" "يا له من قلب كبير لدى أمّ خالد!"

يبدأ عديد من الأطفال في هذه المرحلة التدريب على استخدام المراض. بعضهم يكونون بطيئين في تقدّمهم. فلا تجعل هذه معركة؛ لأنها غير قابلة للفوز. (بالإضافة إلى ذلك، فإنّ المراض ومحتوياته هو محور تحكّم غير سارٍ للآباء والأمّهات والأطفال).

ضع روتيناً لوقت النوم والواجبات وما إلى ذلك يُمكن التنبؤ بها. إذا كان معروفاً، استخدم روتيناً من الماضي لفترةٍ من الزمن.

الحفاظ على خفض عدد التغيرات في جو المنزل إلى الحد الأدنى. مثلاً، اختصار أو تأجيل زيارة صديقة العائلة وأولادها التي تستغرق أسبوعين إلى العام المقبل، حيث إنَّ الطُّفْل قد احتُضِنَ حديثاً.

تجنَّب تعريض الطُّفْل للألم أو عزله عن والدَيْه كعقابٍ له على سوء سلوكه، فالعديد من الأطفال الذين ينتقلون إلى منزلٍ جديدٍ في هذه المرحلة ليسوا سعداء بالبقاء مع الأبوين بعد هذه الخطوة، فذهابهم إلى غُرْفهم كعقوبةٍ هو ما يُفضَّلون الحصول عليه، كما أنَّ فرض الانضباط بالعنف البدني يعني أنَّ ثقة الآباء بالنتيجة ضعيفة، ولهذا يُلحقون بالطُّفْل الألم لضبط الأمور.

الحفاظ على الطَّعام المُفضَّل للطُّفْل في النِّظام الغذائي اليومي، بالنسبة للأطفال المحرومين، كُنَّ واضحاً أنَّ هناك دائماً طعاماً متاحاً؛ فبإمكانك - على سبيل المثال - الاحتفاظ بوعاءٍ فيه فاكهة في غُرْفة الجلوس

قضاء بعض الوقت في اللُّعب مع الطُّفْل؛ فهناك أطفال لم يتعلموا الكثير من أقرانهم كيفية اللُّعب؛ خصوصاً إذا كانوا قد جاءوا من بيئاتٍ محرومة، لذا أفضِّ وقتاً في تعليمهم اللُّعب.

من المناسب عمل شريط فيديو للأبوين والطُّفْل وهم يلعبون ويأكلون ويُغنون معاً، شارك هذا التسجيل مع الطُّفْل؛ لأنَّ الأطفال الذين يخافون من التفاعل الأبوي يُصبحون أقلَّ تخوفاً من خلال مشاهدة مقاطع الفيديو هذه.

شجِّع ألعاباً مثل الاختباء والبحث؛ فإثارة المطاردة للطُّفْل و"العثور عليه" أمرٌ مُبهِج للأطفال الذين يُشكِّلون تعلقاً.

## مُلخَص المرحلة الثالثة من النُّمو العاطفي

يتعلم الأطفال الذين يnehون المرحلة الثالثة أن أم أو فرداً من أسرهم يُمكنهم الوثوق بهم، ويشعرون بأنهم محبوبون ويفهمهم أفراد الأسرة في ارتباطٍ إيجابي وآمن، ولكن في أنماط التعلُّق الأقلِّ ملاءمة هناك حساسية أقل في هذا الفهم.

أخيراً، يتعلم الأطفال من خلال الارتباط الإيجابي والآمن أن الامتثال والطاعة هما أمرٌ مفيد بالنسبة لهم، وقد يكون لدى الأطفال في أنماط التعلُّق الأخرى مستوى صراع أعلى مع الأبوين أو يُصبحون خائفين من معارضة الأبوين من خلال خياراتهم الخاصة. لذا في جميع أنماط التعلُّق يُقدِّم بعض الحلول الوسط خلال هذه المرحلة مع استقلالية الأطفال وحدودهم، وسيكون الأطفال قد طَوَّروا درجة الانسجام العاطفي المُمكنة تبعاً لجودة العلاقة مع القائم على رعايتهم، كما تنمو هويَّتهم المنفصلة عن أبويهم خلال هذه المرحلة.

### قائمة بالمهام العاطفية للمرحلة الثالثة:

- يبحث الطُّفل عن الأم عدَّة مرَّات في اليوم فقط لمعرفة ما تفعله والتفاعل معها.
- يهدأ الطُّفل بعد نوبة غضبٍ بدون صعوبة، ويقبل القيلولة دون صعوبة كبيرة، ويتمكن من الهدوء أو التوقف عن النشاط.
- يُحبُّ الطُّفل ثناء الأبوين.
- الطُّفل يُعانق الأم بين فترةٍ وأخرى، حتَّى حين لا تبدأ الأم بالعناق.
- يُظهر الطُّفل قلقاً، لكنَّه لا يتخلل أو ينفصل عن التفاعل، إذا تعرَّضت الأم للأذى أو الضيق.
- يستخدم الطُّفل حضن الأم - الأب للمساعدة في التهدئة (مثلاً بعد أن يُصاب بألم أو يسقط أرضاً).
- يقوم الطُّفل بأشياء لطيفة أو مريحة من أجل الحصول على اهتمام الأبوين.
- يتصرَّف الطُّفل كما لو كان يشعر بالذنب عندما يُظهر الأبوان عدم الرضا بعد أن يُحدث فوضى أو يكسر شيئاً.

## التَّوَجُّهُ نَحْوَ الْعَالَمِ الْاجْتِمَاعِيِّ الْمُحِيطِ (ثلاث سنوات- أربع سنوات)

في المرحلة الرابعة، ينطلق الطِّفْلُ مع ما تعلَّمه في المراحل السَّابِقَة عن طبيعة عالمه وأبويِّه وذاته إلى سياق اجتماعي أوسع بقليل؛ مثل مجموعات اللَّعْب ورياض الأطفال. فالأطفال الَّذِينَ هُمْ على مسار النُّمُو العاطفي مع تعلقٍ آمِن، يتمتعون بالثِّقَة في الآخرين وفي أنفُسِهِمْ، كما أنَّهم يعتقدون أنَّه عندما يقابلهم النَّاسُ فمن المحتمل أن يُحبُّوهم تمامًا كما أحبَّتْهم عائلاتهم، وفي المقابل يشكُّ الأطفال الَّذِينَ لَدَيْهِمْ ارتباطات غير آمنة في أنَّ الأشخاص الَّذِينَ يلتقون بهم سيحبُّونهم أو يكوُنون جديرين بالثِّقَة تمامًا، كما يُشكِّكون في قيمتهم الذاتية وقيمة أسرهم.

في حالة الأطفال الَّذِينَ لم يواجهوا أيَّ تحديات إضافية (كالانتقال من أسرة إلى أخرى)، تبدأ هذه المرحلة في حوالي سنِّ الثانية والنِّصْف أو الثالثة، وتنتهي بعد حوالي عام واحد، أي في سنِّ ثلاث سنوات ونصف إلى أربع سنوات، ويتحرك تطوُّر الضَّمير بسرعة في هذه المرحلة والعمر، ويبدو اتِّجاههم للنُّمُو كما يلي:

1. يعرف الأطفال قواعد الأبويِّين، لكنَّهم لا يستطيعون التحكُّم بعد في أفعالهم.
2. يبدأ الأطفال بعد ذلك في التحكُّم في أفعالهم تدريجيًّا لفتراتٍ قصيرة من الزمن، فيطيعون القواعد لإرضاء الآباء وكذلك لتجنُّب العواقب؛ ومع ذلك فإنَّهم لا يشعرون بالعار عندما يواجهون عدم موافقة الأمِّ أو الأب.
3. يتذكرون القواعد حتَّى عندما لا يكوُن الآباء موجودين. وعندما مع الأب أو الأمِّ فإنَّهم يأخذون قيمهم بطريقةٍ ملموسة. وقد يقتبسوا حرفيًّا أقوال أبويِّهم: "أمِّي تقول لنا ألا نضرب"، أو "يقول بابا بأنَّ الله لا يحب أن نكذب أبداً".

قد يصل الأطفال المحتضنون إلى هذه المرحلة لأوَّل مرَّة في سنِّ متأخرة عن أقرانهم، وربَّما يكوُنون قد وصلوا إلى هذه المرحلة من التطوُّر سابقًا مع شخصيَّات الحاضنين السَّابِقين، وبمجرَّد نقل التعلُّق أو تشكيل تعلقٍ جديد فإنَّهم سيستأنفون عمل هذه المرحلة، فالأطفال الَّذِينَ لم يكوُن لَدَيْهِمْ اتِّصالٌ لمدَّة كافية مع شخصيَّة الأمِّ - الأب قد يحتفظون بما اعتادوا عليه من شعور بالصواب أو الخطأ، ويقتصر إتقانهم على تعلُّم تجنُّب العار والعقاب من خلال الالتزام بالقواعد التي وضعها الكبار، وبعبارةٍ أخرى فإنَّها تظهر كعادةٍ بدلًا من تنمية الضمير الحقيقي.

الطفل في هذه المرحلة من العمر الزمني هو مُرَشَّحٌ جيّدٌ للتدريب على استخدام المرحاض، فقد انحسرت المعارضة والعناد اللذان ميّزا المرحلة السابقة. وإذا كان الطفل في هذه المرحلة في سنٍّ أكبر ولم يُتَقَنَّ بعد التدريب على استخدام المرحاض فهذا وقتٌ جيّدٌ للتدريب على استخدامه، حيث يُمكن تقديم المرحاض كموضوع إتقان؛ علمًا أنّ استخدام المرحاض (مثل الكبار) أمرٌ جذابٌ بالنسبة للأطفال، حيث يُكونُ الأطفال أكثر ميلاً إلى القبول الاجتماعي لعادات النظافة من قبل المحيط الاجتماعي اللصيق بالطفل والأسرة في هذه المرحلة.

يواصل الأطفال في المرحلة الرابعة تنمية شخصياتهم الفرديّة، وتزداد لديهم الثقة والتواصل الاجتماعي، ويحبون أنفسهم ويتعلمون التعاون، أو يظهر لديهم العكس؛ أي لا يثقون ويتصرفون بحذرٍ، وقد يتشككون في أنفسهم ويتزددون في التعاون. وفي هذه المرحلة يعرفون جنسهم، ولديهم شعور حَوْلَ ما إذا كان (حظُّهم جيّدًا أو سيئًا) بكونهم صبيانًا أو بنات، وبما أنّهم يرون أنفسهم كمركزٍ للعالم فسوف يعتقدون أنّهم سبب الأشياء التي تحدث في حياتهم وأسرّتهم؛ ولهذا الأمر أهمية كبيرة، حيث يعتقد بعضهم بأنّهم هم سبب الانفصال عن أسرّتهم البيولوجيّة، أو عن الأسر الحاضنة السابقة، وربّما يربطون هذا - مثلًا - بسلوكٍ فعلوه أو عاطفة عاشوها (مثل الشعور بالغضب والكراهة لأحدٍ ما أو مجرد تمنّي شيء ما). فإذا نُقلوا بعدما سبق لهم أن غضبوا - ولو مرّة - وتمنّوا مغادرة الأسرة - ولو مرّة - فسوف يحملون أنفسهم مسؤوليّة هذه الخطوة.

كما يُمكنهم في هذه المرحلة البدء في الإيمان بقدرتهم الكليّة. فالأطفال الذين نُقلوا قد يعزّون ذلك إلى رغبة صامته لديهم في لحظة غضب في أن يختفي أبؤهم إلى الأبد، وعندما يُنقلون لاحقًا إلى منزلٍ جديد يعتقدون أنّ "الرغبة" جعلت الناس يختفون من حياتهم؛ لذا عندما يغضبون قد يجربونها على آباء جُدد، ثمّ يشعرون بالرعب لاحقًا.

خلال هذه المرحلة، يستمرُّ الأطفال في التعرف على الأبوين، والأهمُّ من ذلك، أنّهم يتعلمون القيام بالأشياء عبْرَ طرق الآباء، حتّى عندما لا يشعرون بذلك، يقوم الآباء كقدوة بتعليمهم التعاون والانتظار وقبول أن يقول الآخرون لهم "لا"، ممّا يساعد على إعداد أطفالهم للمشاركة في المجتمع.

## مهام الأبوين في المرحلة الرابعة تتمثل في الآتي:

- تشجيع الأطفال على المبادرة.
- مساعدة الأطفال في زيادة معرفتهم للعالم من حَوْلهم من خلال تزويد الأطفال بالحقائق المناسبة لاهتماماتهم؛ مثل كيفية الحصول على عناصر للعب، وتوفير الفرص لإتقان المهام.
- تعليمهم احترام الآخرين وأنفسهم، من خلال التركيز على التعاطف ومقاطعة الأعمال السلبية.
- الاستجابة بمرح للأطفال الآخرين.
- وضع حدود آمنة واضحة ومتسقة.
- التمييز بوضوح بين أدوار الآباء والأطفال.
- الاستمرار في تعزيز الصورة الذاتية الإيجابية للأطفال.
- مساعدة الأطفال على التحدث عن خبراتهم في عالمهم المحيط.
- مساعدة الأطفال على التعبير عن الغضب دون إيذاء الآخرين، على سبيل المثال، الكلام بدل الصراخ
- : "استخدم كلماتك!"

ويدخل بعض الأطفال المرحلة الرابعة في وقت لاحق؛ لأنهم تأخروا في مراحل سابقة. لكنهم مع الحرص، يستمرّون في التحول إلى منحنى التعلّق الآمن، وتطوير الثقة بالآخرين والثقة بالنفس. الأطفال الذين لم يتعلّقوا قبل هذا العمر لا يشعرون بأيّ ضيق بسبب رفض الأبوين، أو أيّ متعة في اتباع القواعد، هم مدفوعون فقط بعواقب سلوكيّة بحثة (ربح – خسارة). وهذا يجعل الطريق صعباً للغاية للآباء والأمّهات الذين يحتاجون إلى الإشراف على العواقب واستنباطها طوال اليوم، وكلّ يوم. إذا نُفّلت حضانة الأطفال خلال هذه المرحلة، سيتغيّر الحاضنون وكذلك القواعد. وهذه النقطة تتسبّب في إعاقة تنمية الضمير لدى هؤلاء الأطفال.

## تقنيات ومفاهيم تُعزز التعلق في المرحلة الرابعة

ما زال من المناسب استخدام التقنيات التي تمّت التوصية بها في المراحل السابقة بحريّة للأطفال الذين مرّوا بخبرات انتقال الحضانة. فالأطفال الذين يدخلون المرحلة الرابعة في سنّ الحادية عشرة يُكوّنون أكبر سنّاً بالطّبع من الرّضاعة بالزّجاجة، غير أنّ التقنيات الأخرى مناسبة.

ينبغي السّماح ودون استهجانٍ لهذا الطّفل بالتراجع (النكوص) إلى مراحل أكثر طفوليّة عندما يكوّن في حاجةٍ لذلك. (في الواقع، يتراجع مُعظم البالغين أيضاً عندما يمرّون بخبرات قاسية، ويحتاجون إلى الرّاحة والرّعاية فيظهر عليهم سلوك طفولي). ويُمكن لملاحم النكوص (التّعامل معه تبعاً لحاجات نموّه العاطفي لمرحلة أبكر) أن تتجلى على عدّة أشكال. مثلاً: ضمّه وهزّه وهددته قبل النّوم كما لو أنّه رضيع بعد، وطمأنته بأنّ الأمّ (الأبوين) سيكوّنان موجودين في الصّباح.

السّماح للطّفل بدخول غرفة الأبوين إذا كان خائفاً في الليل (مع تعليمه الاستئذان بالطّبع). يُمكن للأبوين مراتب سرير يضعونه بجانب سريرهم حتّى يتمكّن الطّفل من النوم فيه، دون الحاجة إلى الاستيقاظ وإعادته إلى السرير. يسمح بعض الآباء للطّفل بالنّوم في فراشهم، هذا ليس خياراً جيّداً للزوجين ولا للطّفل على المدى البعيد. فقد تُكوّن عمليّة الإقلاع عن هذه العادة صعبةً للغاية وتحتاج وقتاً طويلاً. (لذا لا ينبغي للزوجين التّضحية بنومهما أو علاقتهما الجنسيّة فهي أيضاً مهمّة لهما).

في هذه المرحلة ينبغي إخبار الأطفال بأسباب الحضانة بطريقةٍ منطقيّة ومبسّطة تتناسب مع قدرتهم على الفهم (هذا يختلف وفقاً للعمر العقلي، وليس فقط العمر العاطفي)، وسيخترع الأطفال أسبابهم الخاصّة؛ لكونهم بعيداً عن أسرّتهم البيولوجيّة إذا لم يُخبروا بأسبابٍ ملموسة منطقيّة بالنّسبة لهم، على سبيل المثال، إخبار الأطفال بأنّ مشيئة الله تعالى تجلّت في وجود الاحتضان.

## مؤشرات الاختلالات في تطوير المرحلة الرابعة، مع اقتراحات للتعامل معها:

عندما تُنقل حضانة الأطفال من أسرة لأخرى خلال المرحلة الرابعة، فقد يواجهون اضطرابات في النمو مثل تلك المذكورة أدناه، مع اقتراحات لمواجهتها:

● يحتاج الأطفال الذين تعرّضوا للإهمال الشديد، وخصوصًا أولئك الذين أتوا من دور حضانة كبيرة، إلى تخفيض كبير في التحفيز حتى يتكيفوا مع البيئة الطبيعية بدل عدّة ألعاب، وينبغي أن تكتفي الأم الحاضنة بتقديم لعبة واحدة في وقت واحد. كما لا ينبغي أن تترك للأطفال إدارة المنزل؛ لأنه ببساطة تغيير كبير، لذا يجب بناء قدرة الطفل على التعامل تدريجيًا مع زيادة التحفيز.

● طمأنة الأطفال بأنهم محبوبون، حيث يشعر الأطفال في بعض الأحيان بأنهم بعيدون - في كلّ حالة تقريبًا - بسبب التمرکز حول الذات في هذا العمر، ويشعرون بأنهم مسؤولون عن هذه الحالة.

● الحفاظ على أكبر قدر ممكن من هوية الأطفال. إذا أحضروا ممتلكاتهم معهم، فيجب على الحاضنين الجُدد الاحتفاظ بها. حتى لو كانت بعض العناصر تبدو بالية، فإنها تساعد على الشعور بالتواصل مع حياتهم قبل انتقالهم إلى أسرهم الحاضنة. ومن المفيد أن تلتقط الأم الحاضنة صورًا للطفل، وتُعلق تلك الصور لتكون مرئية

● إذا كان الأطفال يمرّون بنوبات الغضب، فينبغي أن تكون الأم الحاضنة (أو الأب) بالقرب منهم؛ فغالبًا ما يهدأ البكاء والحزن حين يُمسك الآباء بهم أو يعزّونهم.

● غالبًا ما يدّعي الأطفال أنهم يتأذون حتى عندما تكون إصابتهم طفيفة. هذا يمنحهم الفرصة للبكاء لفترة من الوقت، والحصول على قسط من الحنان مع أبويهم. كما يساعد على الحصول على (رعاية حسّاسة لقلوبهم)، إذا قبل الآباء وعانقوهم بدلًا من مواجهتهم برفض الإصابة. فهناك إصابة في القلب، ولكن في بعض الأحيان لا يمكن للأطفال التعبير عن هذا إلا من خلال إصابات (حقيقية أو مختلقة) في الأصابع والركبتين.

● غالبًا ما يكون الأطفال في حالة صدمة عندما يُنقلون من مكان إقامة إلى آخر؛ لذا ينبغي على الأم الحاضنة أن تساعد الطفل على الانتقال إلى جدول زمني للحياة اليومية يمكن التنبؤ به، مليء بعنايتها. فاستعداد الحاضنين لشرح ظروف هذه الخطوة (الانتقال من مكان سابق إلى بيتك الجديد) مرارًا وتكرارًا هو أمرٌ مفيد. كما ينبغي الاحتفاظ بأكثر قدر ممكن من جدولهم الزمني السابق (مثلًا: أوقات الطعام، أو أوقات النوم، أو القيلولة) وهنا لا بدّ من أن يساعد الأخصائي المشرف على الحالة في إدارة التواصل بين الحاضنة السابقة والحاضنة الحالية

## ملخص المرحلة الرابعة من التطور العاطفي

يغادر الأطفال المرحلة الرابعة مع القدرة على البقاء خارج رعاية أبويهم لفتراتٍ (قصيرة) من الزمن. ويطوّرون المهارات الاجتماعية لديهم بحيث يُمكنهم إمّا التعاون مع الآخرين أو الدفاع عن أنفسهم ضدّ الآخرين خلال هذه المرحلة. ويتحرّك تطوّر الضمير (الضبط الداخلي) بسرعة. ويُتقن الأطفال سلوكيات جديدة، ويشعرون بالرّضا عمّا يُتقنونه، أو بعدم كفاية ما يُتقنونه. ويستعدّ الأطفال الذين هم آمنون ومدعومون لإلقاء نظرة على عالمهم الاجتماعي المحيط بهم. وينتابهم فضول وتجدهم متحمّسون؛ لكونهم مع أطفال آخرين. إنّه الوقت الذي يبدأ فيه الخيال واللّعب الخيالي. كما يبدأ الأطفال الذين لا يشعرون بالأمان في الشّعور بصعوبة التعاون والهدوء في هذه المرحلة. وبيدؤون في الحصول على رسائل مُجتمعيّة أقلّ قبولاً. يشعُر أطفال المرحلة الرابعة بثقة متزايدة، أو عدم ثقة، حوّل جنسهم وهويّتهم اعتماداً على نمط التعلّق لديهم ومعتقداتهم التي تبنّوها في المنزل.

## قائمة بالمهام العاطفيّة للمرحلة الرابعة:

- يرغب الطّفل في الحضن والعناق من الأبوين على الرّغم من أنّه قد يُكونُ خجولاً أحياناً.
- يتعلّق الطّفل بحضور الأبوين لطقوس ما قبل النّوم.
- يريد الطّفل من الأبوين أن يروا إنجازاته.
- يتحقّق الطّفل من مكان وجود الأبوين أو ردّة فعلهما عندما يفعل شيئاً مخالفاً للقواعد.
- يسعى الطّفل للحصول على الاهتمام الإيجابي للوالدين، ولا يرفض الاهتمام عندما يحصل عليه.
- يحصل الطّفل على مساعدة الأبوين في حلّ المُشكلات، مفضلاً مساعدتهم على مساعدة شخصٍ غريب.
- يعطي الطّفل تواجلاً بصرياً ويتبسّم تحيةً وتودّداً للوالدين عدّة مرّات في اليوم.
- يقلّد الطّفل أنشطة الأبوين ويحاول البقاء قريباً منهما جسدياً.
- يحاكي الطّفل بعض سلوكيات الأبوين، ويذكر قواعدهما.

## التّمرکز في الأسرة والرّغبة بالاقتران بالأبوين (أربع سنوات- سبع سنوات)

الأطفال الذين يعيشون في أسرة بيولوجية متوازنة يدخلون المرحلة الخامسة في سنّ الثالثة والنّصف أو الرابعة تقريباً، ويكملون المرحلة في سنّ السادسة أو السابعة. أمّا الأطفال الذين يمرّون بالعديد من تنقلات الحضانة والخسائر والصّدّات فقد ينتقلون إلى المرحلة الخامسة متأخّرين سنوات عن أقرانهم. يستمرّ أطفال المرحلة الخامسة في تطوير وعيهم بالنّوع الاجتماعي والهويّة والفضول والخيال طوال هذه المرحلة.

### السّمات المتوقّعة في المرحلة الخامسة

الأطفال في هذه المرحلة يميلون إلى فهم العلاقات من وجهة نظرهم الخاصّة فقط. قد يجدون صعوبة في فهم سبب عدم احتضان الآباء لأمهاتهم البيولوجيات أيضاً، ويسألون لماذا لا يستطيعون التّوم في سريرك؟ إنهم يعترفون بالهزيمة في النّهاية فقط لأنّ الآباء أكبر، ولأنّ الأشخاص الكبار يحصلون على المزيد ممّا يريدون.

يريد الأطفال في هذا العمر أن يكون لهم أصدقاء؛ إذ إنهم يستمتعون بالأنشطة الجماعية بشكل كبير.

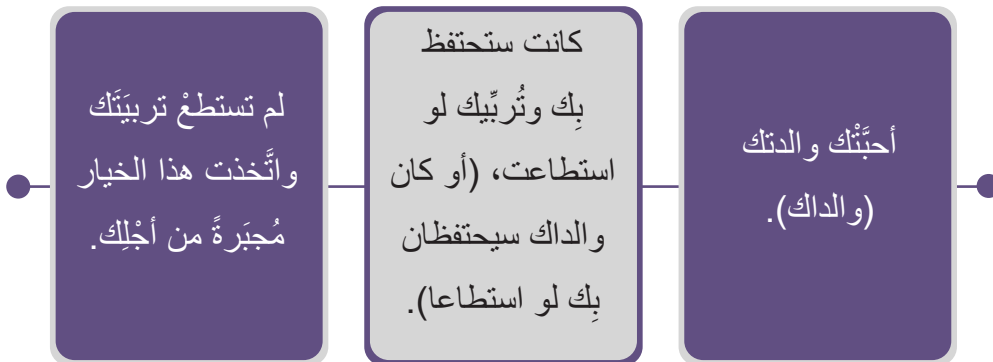
يكون الأطفال في هذه المرحلة خياليين إلى الحدّ الذي ينجرفون فيه بعيداً في أوهامهم بعض الأحيان، قد يضطّر بعض الآباء إلى منع طفلٍ متحمّس للقفز من أعلى الدّرج ورأسه يتّجه نحو الأسفل كأنه على استعداد للطيران كأبطال الرسوم المتحرّكة. إنهم يحبّون ارتداء الأزياء أثناء محاولتهم تقمّص شخصيات مختلفة يرونها في الأفلام. في بعض الأحيان يطلبون من الآخرين أن ينادوهم باسم محبّب، مثلاً الأميرة، باتمان، فتاة الدلافين. كما يبقى الآباء مركز الاتّصال العاطفي للأطفال في هذه المرحلة؛ ولكن لديهم أيضاً أنشطتهم الخاصّة كلّ يوم. إنهم يحبّون قراءة القصّة نفسها أو مشاهدة الفيلم ذاته بشكلٍ متكرّر، مستمدّين من صور وموضوعات خيالية مسلية.

الكفاءة هي هدفٌ كبير في هذه المرحلة، يريد الأطفال أن يكونوا أكفاء في عالمهم، لذلك يكتسبون مهارات جديدة يوميًا، ويُدفعون لمعرفة المزيد، كما أنهم يتطوِّرون في إدراك هويَّتهم الجنسيَّة، وعادةً ما يُحبُّون جنسهم، لذلك تجدهم يلعبون مع أطفال الجنس الآخر بحُرِّيَّة.

يمرُّ الأطفال بميَلٍ طبيعي للتحدُّث عن غضبهم، وليس الضرب عند الغضب، في منتصف المرحلة وبدوْن تحدِّيات، وتكوُّن نهاية المرحلة الخامسة تقريبًا ببداية رياض الأطفال، حيث تميل العدوانية الناتجة عن سوء المعاملة إلى الظهور أكثر.

خلال هذه المرحلة، يرغب الأطفال في معرفة سبب عدم وجودهم مع والديهم البيولوجيين، ويكون بعضهم مستعدًا لقصة بسيطة تفسِّر لهم هذا الأمر، ومن المهمَّ إعطاؤهم أسبابًا صادقة؛ لذا يجب الانتباه إلى ألا يشعروا بالقلق من أن القصة ستكرَّر في أسرهم الحالية. ويجب أن تكون التفسيرات ملموسة واقعية؛ على سبيل المثال: "لم يكن هناك ما يكفي من الطعام في عائلتك. كان والداك يعرفان أن هناك طعامًا في دار الأيتام. هذا هو السبب في أنهما تركاك على باب المسجد، حيث يُمكن ملاحظتك ونقلك إلى دار الأيتام، ربَّما كانا يأملان في أن نُحتضن، كانا يعرفان أنك بحاجة إلى عائلةٍ لديها ما يكفي من الطعام والحب، تمامًا مثل الأطفال الآخرين، لقد أرادا لك أن تعيش حياةً جيِّدة".

يواجه الأطفال الذين تقلُّ أعمارهم عن سبع سنوات مُشكلةً في إدراك التسلسل الزمني لحياتهم؛ ولمساعدتهم تُرسم بعض الصور البسيطة مع التفسيرات اللفظية، فغالبًا ما يحتوي دفتر الحياة على صور يُمكن استخدامها لمساعدة الأطفال على تكوين خطِّ زمنيٍّ بسيط بالقصة أدرج في تاريخ حياتهم، وإذا كان ذلك ممكنًا، فالبيانات أدناه:



حيث تمنح هذه التصريحات الأطفال قيمةً، وتُعطي انفعاليًا الإذن لهم بحُبِّ أسرهم الحالية والتعلُّقِ بها، ويُمكنها كذلك أن تمهِّدَ لمناقشةٍ تتضمن بعض المشاعر الحزينة، وكذلك المشاعر السعيدة. بعض الأطفال مهتمُّون فقط بفترة ما بعد الولادة، لكنَّ الأطفال الأكبر سنًّا، وخصوصًا أولئك الذين يتذكَّرون علاقاتهم مع الوالدين البيولوجيين، قد يحتاجون إلى سماعِ (إذن - موافقة) من كلا الوالدين للانتقال إلى علاقات محبَّة مع أسرهم الجديدة.

في هذه المرحلة، من المستحبَّ أن يُطوَّرَ (كتاب قصة حياة الطفل) ليصلَ إلى فهمهم أنَّ أبويهم الحاليين كانا قد تعرَّفَا إلى تاريخ حياتهم قبل المجيء بهم إلى الأسرة، ويساعد دفتر الحياة الأطفال على تطوير قصَّتهم؛ مع دمج كلِّ من أحداث ومشاعر حياتهم. ويكوِّن بمثابة أداةٍ يُمكن للأب والأب من خلالها التحدُّث مع الطفل.

قد يحاول الأطفال في هذه المرحلة أن يسيطروا أو يتحكَّموا عندما يتفاعلون مع أبويهم الحاضنين، وهذا يساعدهم على الانتقال إلى نموذج تعلُّقٍ صحيٍّ إذا قام الآباء بتعليم أنفسهم طرقًا "تناسب الجميع"، حيث يتدرب الآباء ويتحدَّثون عن "الفوز دون أن يخسر أحد".

في عملية تعليم الطفل الانضباط، ينبغي أن يبذل الآباء قصارى جهدهم في تجنُّب المواقف العقابية التي تُعزِّز أنَّ الطفل لديه خيار أن يكوِّن ضحية أو خاسرًا فقط، حينها يُمكن للطفل أن يتحوَّل بسهولة أكبر إلى خيار التعلُّق الإيجابي بمجرد أن يفهم أنَّ الأمور قد تغيَّرت للأفضل، فبدلًا من خيار التعلُّق للأذى أو إيذاء الآخرين فقط؛ يوجد خيار ثالث للثقة والتعاون. الجميع يعاملونه في هذه الأسرة باحترام.

الأطفال الذين عانوا من الخسارة والصدمة، لديهم مهمَّة الحدِّ من شدَّة استجاباتهم السلبية في هذه المرحلة؛ ولأنَّ بإمكانهم الاستمتاع بقصص وحكايات يكوِّن أبطالها (الحيوان الكبير والحيوان الصغير)، أو قصص من نوع (البطة الصغيرة السوداء) التي تُحاكي المجموعة نفسها من التناقضات التي كان يعيشها قبل الاحتضان، لذا يُمكن للأهل أن يُحوِّروا القصة بحيث تتشابه مع بعض تفاصيل معاناتهم في السابق، مثل التي تتغلب على تحديات الإعاقة الجسدية دون شعور بالعار.

يُمكن أن يلجأ الوالدان في مساعدة الأطفال الخائفين الذين غمرهم الخوف في هذه المرحلة إلى استخدام لعبة التخيل؛ بأنَّ لديهما جهاز تحكُّم وهميًّا يُخفِّف من توتُّرهم (وهكذا يتعلَّمون الاسترخاء)، ويحتاج الأطفال إلى التقدُّم بسرعةٍ من خلال ذكرياتٍ مخيفة، تُمكنهم من الاستمتاع بعالمهم الحالي الآمن.

وقد يُكوّن من الشائع بين الأطفال الذين تعرّضوا للإهمال أن يخافوا من أن يجوعوا ويجدوا أنفسهم دون طعام. وهنا قد تقول الأم لطفلها الذي لاحظت توتّره عندما يُؤخذ الطّعام بعيداً، “حبيبي، أنا أمك المحبّة. أنا فقط أضع بقايا الطّعام بعيداً حتّى لا يفسد. سيكوّن هناك متى شعرت بالجوع مرّة أخرى، هنا الكثير من الطّعام، هل تريد تفاحة من وعاء الفاكهة؟”

## تقنيّات وكلمات تحسّن التعلّق لطفل المرحلة الخامسة:

يستمرّ العديد من الآباء في استخدام تقنيّات بناء التعلّق الآمن من المراحل السّابقة، وعادة ما يستخدمون التقنيّات للأعمار المبكّرة بشكلٍ متقطّع فقط. على سبيل المثال، قد يقوم طفل يُعاني من خسارته للذّكري السنويّة لميلاده ببعض ردود فعلٍ كالرضاعة بالزّجاجة والهزّ مع الأمّ، كما يقول أنّه يشعر بالوحدة.

قد يُعيّن هدفٌ لتدريب الأطفال في هذه المرحلة على الانضباط والبقاء على مقربةٍ من الأبوين عندما يخرجون معاً خارج المنزل (مثلاً لحديقةٍ مجاورة أو لشراء الحاجات اليوميّة). وفي وقتٍ لاحقٍ بمضيّ يومين مثلاً، يُمكن للوالدين مكافأة الأطفال على “بقائهم على مقربةٍ” أو حفاظهم على الشعور بالأمان حين يخرجون معاً. يُمكن للأطفال كسب مكافآت، مثل الذهاب لتناول الآيس كريم بعد العمل بجدّ على “عدم الابتعاد أكثر من اللازم”، بالإضافة إلى المكافآت غير الملموسة للشعور بالأمان.

في بعض الأحيان، يقوم الأطفال بتخيّل قصة لقائهم الأوّل واحتضانهم، أو تخيّل أمهم البيولوجيّة، ومنهم من يعتقد أنّ الأم البيولوجيّة حزينة لفراقه وأنها تبكي دائماً، ويُمكن تقديم المساعدة للطفّل في هذا عن طريق (إكمال القصة بشكلٍ إيجابي) بحيث يرى الطّفّل أنّ أمه البيولوجيّة قد حزنت، لكنّها قد تستطيع أن تعيش حياةً سعيدةً، خصوصاً إذا علّمت أنّه هو أيضاً قد استطاع أن يجد حياةً جيّدة مع حاضنته الجديدة. ويُمكن لهذا الطّفّل الذي يفكّر بشكلٍ ملموس، أن يتقبّل القصة عندما تُصوّر باستخدام الرسوم، حيث يُعمل ما يُشبه قصةً متتالية الرسوم، ويظهر في نهايتها وجه الأم البيولوجيّة المُبتسم. فمثل هذا اللّعب يجعله يشعر بحريّة أكبر في أن يعيش حياةً سعيدةً؛ لأنّ أمه البيولوجيّة أيضاً تريد له ذلك.

في بعض الأحيان يشعر الأطفال بأنهم ليسوا سعيدين بكونهم صبيًا أو بنتًا، ممّا قد يدلُّ على عدم قبولهم لجنسهم. وهذا يحدث أحيانًا حين يمرُّ الأطفال بخبرة احتضانٍ سابق، ويفسِّرون عدم نجاح الاحتضان بأنَّه ناجمٌ عن كونهم (ذكورًا أو إناثًا) وأنَّ أمَّهُم الحاضنة السَّابقة كانت تميل إلى احتضانِ طفلٍ من غير جنسهم. ويُمكن أن يُعوِّد الأمرُ في حالاتٍ أخرى إلى تعرُّض الطِّفل لإساءة جنسيَّة يعتقد أنَّها أصابته لأنَّه صبي أو لأنَّها فتاة. فيحتاج هؤلاء الأطفال إلى جهد اختصاصي لتتبع آثار مثل هذه الخبرات، لكن من المفيد للغاية أن يسمَعوا من أمَّهُم الحاضنة أنَّها تُحبُّ الصِّبيان والبنت على حدِّ سواء، وأن يروا هذا في سلوكها حيال الأطفال من الجنسين.

يتميّز تفكير الأطفال في هذه المرحلة بالإيمان بقوة التَّمني، وأنَّ الأمنيات لها تأثير على الواقع، يُمكن أن يودِّي إيمانهم هذا إلى اعتقادهم بأنَّ رغبتهم في تغيير منازلهم جعلت ذلك يحدث.

من الضَّار أن يعتقد الأطفال أنَّهم كانوا مسؤولين عن جعل آبائهم السَّابقين يتخلَّون عنهم. ولاختبار ذلك، يُمكن للأبوين استخدام أمثلة شخصيَّة كمدخلٍ للمناقشة. فعلى سبيل المثال، يُمكن للأب أن يُخبر الطِّفل بأنَّه في الماضي تَمنى شيئًا ولم يحدث هذا الشيء أبدًا، مثل أن يختفي أخوه الكبير لأنَّه كان يضايقه، ولكنَّه لم يختفِ، بعد ذلك يشرح الآباء بسهولة كيف أنَّ مُعظم الأطفال يرغبون في بعض الأحيان باختفاء أحد والديهم، لكنَّ التَّمني لا يجعل ذلك يحدث، هذا ليس هو السَّبب في أن لديهم عائلة جديدة.

يُمكن بمساعدة الأبوين أن يُجربَ عددٌ من الأمنيات التي لا تتحقق بمجرد أنَّ هنالك مَنْ يريد ذلك، مثل تَمني سقوط الكرسي، أو تَمني اختفاء الشَّمس، أو تَمني أن يطول النَّهار، أو تَمني أن يعودَ شخصٌ ميِّت، ثمَّ يُمكن للأبوين أن يجعلوا الطِّفل يَتَمنى بكلِّ قوَّة أن يختفي الأب، أو الأمُّ، ولن يحدث شيء، هذا يساعد على طمأنة الأطفال، الذين هم سحريُّون جدًّا في تفكيرهم، ولكنَّهم يخشون اختبار معتقداتهم.

يجبُ على الأبوين أن يُجنِّبا الطِّفل في هذه المرحلة الضُّغوط الشَّديدة على التعلُّق. فمُعظم الأطفال في هذه المرحلة الذين كان لديهم تاريخ من فقدان الشَّخص الذي سبق لهم التعلُّق به، أن لا يتحمَّلوا غياب الأبوين لأكثرَ من خمسة أيام. يُمكن أن يُكونَ الشَّخص الذي يتعلَّق به الطِّفل أكثرَ من غيره أبا يعمل بينما تبقى الأمُّ في المنزل، حتَّى مع وجودها، يُمكن للطِّفل أن يدخل في الغضب والحزن أثناء سفر الأب.

## ملخص المرحلة الخامسة من التطور العاطفي

طبيعة تفكير الأطفال في هذه المرحلة هو التفكير السحري، حيث الارتباطات بين الأسباب والنتائج تكون غير منطقية. ويبدو أن هذا هو ما يُمهّد إلى أن يصبحوا بنهاية هذه المرحلة أكثر اهتمامًا بالحقائق، فيزداد تطوّر اهتمامهم برضا آبويهم بشكل كبير في هذه المرحلة، ممّا يُمهّد لنموّ الحسابات غير الأثباتية، وتطوّر الضمير الداخلي لديهم، ينبغي أن يتعرّز إحساسهم بأنهم مؤهلون للقيام بالأشياء، وتعلّمها بشكل متزايد عندما ينجحون في هذه المرحلة، فعدم النجاح في ذلك سيجعلهم يدخلون المرحلة التالية وهم يشعرون بعدم الكفاءة.

الأطفال الذين يفشلون في الاستفادة من تحديات المرحلة، يغادرونها بضمائر ضعيفة النمو، وثقة منخفضة بالنفس، وقدرة تعاون ضعيفة، على النحو الأمثل فإنّ انسجامهم مع الأبوين، وتعاونهم معهما، يُعدّهم لقضاء مزيد من الوقت بعيدًا عن الأبوين والمنزل.

يمكن لهذه المرحلة أن تقدّم الكثير من المتعة للآباء والأمّهات، حيث يتلقّى الآباء تفاعلًا إيجابيًا طيبًا من الطفل على شكل ملاحظات جميلة، وعناقًا متبادلًا وحرًا مع طفل هذه المرحلة. إنّ شاعرية الأطفال والحبّ الجيّد المميّز لهذه المرحلة هي كنوز للآباء والأمّهات، ويشعر الأطفال الذين يكملون بنجاح هذه المرحلة بالرضا عن جنسهم. ولديهم أمل في المستقبل، ويصفونه من حيث تنمية دور نوعهم الاجتماعي للمستقبل (دور الشاب مع دور الشابة). فهُمْ يميلون إلى أن يكونوا أكثر كفاءة مع أقرانهم؛ ونتيجة لذلك فإنّهم يدخلون المجتمع المحلي في أنشطة الأقران مع المجموعات.

## قائمة بالمهام العاطفية للمرحلة الخامس



## العثور على مكان بين الأقران (سن السابعة - الثانية عشرة)

عندما لا تكون هناك تحديات أخرى يدخل الأطفال المرحلة السادسة في سن السادسة أو السابعة. وتستمر هذه المرحلة حتى سن الحادية عشرة أو الثانية عشرة. بداية هذه المرحلة هي أن الأطفال يقررون أنهم يريدون أن يكونوا مثل أقرانهم. في سن السابعة أو الثامنة، يفضلون أن يكونوا مع الآخرين ومثلهم قدر الإمكان. فيصبحون مهتمين بالانضمام إلى الأطفال الآخرين في النوادي والمدارس واللعب الجماعي الخيالي. إنهم يريدون أن يكونوا عضواً كفواً في مجموعة، غالباً ما يتفوق المعلمون والمدرّبون على الآباء في سلّطتهم، ويصبحون قدوة موثوقة لهم في هذه المرحلة.

وبالنسبة للأطفال المحتضنين حديثاً أو المقيمين في رعاية مؤقتة، فإنهم قد يدركون خلال هذه المرحلة كم أنّ حياتهم أشدّ صعوبة وتعقيداً بالمقارنة مع حياة أقرانهم. وبسبب الضّغط الاجتماعي للأقران والرغبة في أن يكونوا مثلهم لن يكونوا مستعدين للحديث عن هذا الاختلاف علناً، ولكن مع دعم الأسرة الحاضنة، يُكتشفون بعض مشاعرهم بخسارة والديهم البيولوجيين ومشاعر كونهم مختلفين عن أقرانهم، هذا واجب منزلي أساسي للوالدين؛ لأنّه بحلول المرحلة التّالية سيحتاجون إلى دمج هذا الأمر في هويّاتهم، ومشاركة من هم مع أقرانهم، كي لا يبقى سرّاً مؤلماً بالنسبة لهم.

يضع الأطفال "مكوّنات المشاعر" في قصص حياتهم معاً خلال هذه المرحلة. وغالباً ما يغضبون؛ لأنّه لم يكن لديهم خيار لمنع الخسارة من الحدوث في حياتهم.

## مهام الحاضنين لتسهيل النمو العاطفي لأطفال المرحلة السادسة

يزداد حرص الأطفال على القيام بجمع المعلومات عن أنفسهم وماضيهم وحاضرهم، لكنهم لا يملكون بعد القدرة على أن يفتحوا أقرانهم بهذه الوقائع. ولا يكون أمامهم سوى أن يعتمدوا على البالغين الموثوق بهم لجمع ومناقشة المعلومات الأكثر أهمية لهم.

المهمة الرئيسية لهذه المرحلة أن يكون الطفل كفؤًا ومثابرًا ويثبت ذلك لمجموعة الأقران. فالأطفال الذين تعلموا أن يكونوا سلبيين ولا يثيرون الانتباه من أجل البقاء على قيد الحياة غالبًا ما يحتاجون إلى بداية قوية وجرعة من الاحتكاك مع الواقع؛ لتطوير البراعة في هذه المرحلة. "أنا لا أفعل أي شيء خاطئ"، هو بديل ضعيف لفعل ما هو صحيح في هذه المرحلة وفي بقية الحياة، والبراعة المتوقعة في هذه المرحلة تمكن الأطفال من تعلمهم القراءة جهراً بين زملاء في الصف، والعمل التعاوني على المشاريع وتطوير الكفاءات الاجتماعية لهم كأفراد.

تركز المرحلة السادسة على قدرة الطفل بأن يجد مكاناً يرضيه بين الأقران، وأن يصبح مختصاً (بارعاً) في شيء ما في المدرسة، والرياضة، والصدقات، والاهتمامات. كما يحتاج الأطفال الذين تعلموا في وقت سابق الانسحاب من أجل التعامل مع الإحباط إلى إعادة تعلم كيفية التعامل مع الإحباط من خلال العمل الجاد على كل من مهام الحياة العاطفية واليومية. وبخلاف ذلك سوف يطورون مفهوماً دُونياً عن ذواتهم

مع استمرار هذه المرحلة، يصبح الأطفال أكثر اهتماماً ودقة في تنقيبهم عن الحقائق، هذا هو الوقت المناسب لتزويد الأطفال بالحقائق التي تدعم تشكيل هويتهم الخاصة، كجزء من هذه العملية، يُحِبُّ الأطفال معرفة حقائق عن والديهم البيولوجيين، على سبيل المثال، كم كان عمر كل من والديهم؟ وما مهنته أو مستوى تعليمه؟ وهل كانا من الأغنياء أم من الفقراء؟ وما إلى ذلك، الحقائق حول أصل الطفل وقصة احتضانه مهمة في تطوير هوية الطفل، ونظراً لأن الأطفال يتوقون إلى أن يكونوا مثل الآخرين في جوانب مهمة، فمن المفيد لهم العثور على آخرين يشاركونهم أوجه التشابه، كمجموعات الأطفال المحتضنين والمخيمات الثقافية، هي مثال على الطرق التي يمكن من خلالها تلبية هذه الحاجة.

ورغم أنّ تفاوت العمر الزمّني والعمر العاطفي قد يكون كبيراً فإنّ تطوّراً بيولوجياً لافتاً سوف يحدث فُتيل نهاية هذه المرحلة، وسيؤدّي البلوغ دوراً في تسريع النّمو الدّماعي وقدرة الأطفال على إدراك المفاهيم المجرّدة أكثر من ذي قبل، (من المعروف أنّ البنات يسبقن الصّبيان في هذا). لكنّه تطوّر يجعل الأطفال يحتاجون لإعادة صياغةٍ للحوادث التي صنعت قصّة حياتهم، والتي لم تكن تُلفت انتباههم ربّما من قبل لعدم إدراكهم مداها ومعناها، وسيفهمون الوقائع بطريقةٍ (أنضج). وستظهر عليهم مشاعر جديدة لم تكن تظهر في السّابق، ولذلك ستتولّد لديهم الكثير من الأسئلة الجديدة حولّها، لا سيّما أسئلة (لماذا) التي سنتناول مُعظم تفاصيل قصّة حياتهم بدءاً من الولادة وليس انتهاء بالاحتضان وما مرّوا به بيّنهما،  
**ومن أمثلة هذه الأسئلة:**

إذا كانت والدتي مريضةً ولم تكن تقوى على تربيّتي، فلماذا تركني والدي وأهلّ والدي؟

هل كان والداي متزوجين؟

كيف كانت أمّي ستستطيع أن تلدني وأن تضعني على باب المسجد دون أن ينتبه أحد إلى أنّها كانت حاملاً وبطنها كبيراً؟

إذا كان والدي مسافراً في ذلك الوقت، فأين هم أهلّ ليعتنوا بنا أنا وأمّي؟

وأين هم أهلّ والدتي ليساعدوها في هذا الوقت؟

ولماذا بقيت في دار الرّعاية كلّ هذا الوقت قبل أن تأتوا لاحتضاني؟

مع اقتراب المرحلة من نهايتها، ومع الاحتكام إلى معايير العالم الخارجي، يدرك الأطفال في هذه المرحلة بالمقارنات والاطّلاع على حياة الأسر الأخرى أنّ لدى آبائهم نقاط ضعف وربّما عيوب، ويُدركون أنّ حاضنهم ليسوا كاملين أو مثاليين، ويساعد هذا أحياناً في نموّ مشاعر سلبية تجاههم من نوع الشّعور بأنّهم (تأخّروا في إنقاذهم من وضع ما قبل الاحتضان).. أو أنّهم (كانوا على علم بأوضاعهم ولم يتّخذوا الإجراءات في الوقت المناسب). وينزعج الحاضنون طبعاً من هذا النّوع من المشاعر التي ربّما كانوا يتوقّعون عكسها، وربّما يُخفّف عنهم أن يَعلموا بأنّ فقدان الصورة المثالية التي يُنتجها التعلّق الطّفلي هو جزء من عمليّة النّمو الطبيعيّة، وأنّه يحدث أيضاً في الأسر البيولوجيّة. فيستمرّ الحاضنون الجيّدون في متابعة رعايتهم للأطفال؛ بهدف تنمية التعلّق باتجاه الصورة الواقعيّة وليس المثاليّة، ويستمرّ الحاضنون ببساطة في متابعة تقنيّاتهم في إنتاج الترابط الآمن مع الأطفال.

● في نهاية المرحلة، تكوّن لدى الأطفال اختلافات في الطُّرق الَّتِي تعمل بها أدمغتهم، ويُصبح الضَّبْط العاطفي أكثر صعوبة، وتميل الذاكرة إلى أن تكوّن غير منتظمة مع انتقال أدمغة الأطفال إلى سنّ البلوغ، وغالبًا ما يحتاج الأطفال في وقتٍ متأخّر من هذه المرحلة إلى مزيدٍ من النّوم أثناء نُمُوهم، ويخاف العديد من المراهقين عندما يشعرون بأنّهم يفقدون السّيطرة على أنفُسِهِم. وهُنَا يَكُونُ من المُفيد لَهُم للغاية أن يقومَ الحاضنون بالتحدّث معهم عن التغيّرات في مزاجهم، وليس فقط في أجسادهم، ويساعدهم هذا على الشّعور بالتحسّن، كما يساعد الآباء على التّعاون معهم في وضع خططٍ لتسيير الأمور بشكلٍ أفضل.

## تقنيّات وكلمات تُعزّز التعلّق في المرحلة السادسة

● كما هو الحال في المراحل الأخرى، يُمكن الاستفادة بحريّة من القوائم الَّتِي ذكّرت بالمراحل السّابقة حينما يكوّن ذلك ملائمًا، وفيما يلي تقنيّات تُناسب هذه المرحلة على وَجْه الخصوص: ينبغي تشجيع الأبوين الحاضنين على ذلك.

● قضاء بعض الوقت مع الأطفال في هذا العمر، وخصوصًا في لحظات الأنشطة الَّتِي يُمكن للأبوين القيام بها مع الأطفال و الَّتِي تكوّن مثيرةً، وفيها نشاط حركي ومُتعة، وتقدّم التّحفيز.

● الحفاظ على طقوس التّهدئة وتحسين المزاج، كالاتمرار في طقوس ما قبل النّوم وأوقات الحضانة والأنشطة المشتركة.

● مساعدة الأطفال على إيجاد مجالات الاهتمام والاختصاص. وتشجيع ممارسة تلك الأنشطة دون إجباره عليها، بل بمدح أدائه فيها وتخصيصه بها.

● الحفاظ على وتيرة حياة منزليّة هادئة بما يكفي للسّماح بالمناقشات والرّعاية.

● مساعدة الأطفال على تكوين صداقات من خلال مشاركة استراتيجيّات تكوين صداقات ودعوة الأصدقاء التأكّد من أنّ الآباء لا يزالون مرتبطين بمشاركة الأطفال في تناول وجبات الطّعام المشتركة.

● حتّى الطّفّل على أن يذهب إلى المدرسة مبكرًا بعشر إلى خمس عشرة دقيقة. هذه هي الفترة الزمنية الَّتِي فيها تتشكّل العديد من التجمّعات الاجتماعيّة لهذا اليوم، بما في ذلك خطط قضاء أوقات الإجازة.

- الإدلاء بتصريحات ترفع من قيمة الأطفال، امتداح الأبوين لجهودهم بما يتناسب مع إنجازاتهم.
- التعرف على أنسب الأفعال التي تجعل الطفل يشعر بأنه أقرب لأبويه، وتقصد فعل المزيد من ذلك.
- التعبير عن التفاؤل بأن الأطفال سوف يتعلمون ويتقنون.
- توفير علاج سلوكي جيد في هذه المرحلة للأطفال الذين عانوا من أي سوء معاملة في ماضيهم.
- مساعدة الطفل على معرفة الحقائق حول ظروف ولادته، وحياته المبكرة قبل وصوله للأسرة الحاضنة

## قائمة بالمهام العاطفية للمرحلة السادسة

- يلجأ الطفل للأُم الحاضنة طلبًا للراحة والمساعدة عندما يكون مستاء عاطفيًا.
- يقول الطفل إنه يحبُّ الأبوين حتى عندما لا يحتاج إلى شيء ما.
- الطفل منفتح على مشاركة أبويه بخبراته وأخباره.
- عندما يكون الطفل مريضًا أو مُصابًا، فإنه يريد أن تبقى الأُم قربَه.
- يشعر الطفل بالندم إذا دُمّر شيء خاصُّ بالأبوين.
- الطفل صادقٌ وصريحٌ مع الأبوين.
- الطفل لديه نظام قيمٍ مشابهٍ للأبوين.
- يعتقد الطفل أنَّ الأبوين قويان وفعالان.
- يلجأ الطفل إلى أحد الأبوين للتهدئة عندما يشعر بالضيق.
- يستخدم الطفل مساعدة الأبوين في اكتساب المعرفة حول عالمه.
- يحاول الطفل العثور على الأبوين في المنزل، فقط لمعرفة مكان وجودهما.
- يشعر الطفل بالأمان ضمن الحدود التي يرسمها له الأبوان.
- الطفل لديه أصدقاء.
- الطفل لديه قدرات يعرفها ويفخرُ بها.
- يُظهر الطفل الحزنَ المتناسب مع الأجزاء الحزينة من قصة حياته الخاصة.
- يُظهر الطفل التعاطف مع الآخرين.

## تشكّل الهوية ومشاركة الآخرين

هذه المرحلة مركزية في تشكيل الشخصية الراشدة، تكوّن بداية الشعور عند المراهق بالهوية من خلال إدراكه لفرديته بأنّه شخص فريد متميّز، وأنه مهياً لدور ذي معنى في المجتمع. يفتقد وعيه بصفاته الفردية إلى وعيه بميوله، وبما لا يميل إليه، ثمّ بأهدافه وخطّته. بعبارة مختصرة يفتقد هذا إلى أن يتفكّر ملياً بمن هو الآن؟ وماذا يريد أن يكون في المستقبل؟ وتكوّن الأنا عند المراهق مهياً من أجل الثبات على طرقٍ محدّدة للدّفاع عن النفس، ممّا يصفّل لديه الشعور بالهوية الاجتماعية، وهي الهوية التي تقوم الأنا بتشكيلها عبر اختيار وتكامل الصفات الفردية.

وهنا تبدأ الأدوار في الاختلاط بين الهوية الطفولية والهوية الراشدة (وهو ما يُسمّى اختلاط الهوية)، وهنا يصبح من الصعب التنبؤ بسلوك المراهق وضبطه من جهة المحيطين به، بسبب التناقض الداخلي الذي يعيشه ورغبته في الانخراط بأدوار متناقضة: الطفل (الذي يخشى الصّد والإحباط والعقوبة) والراشد الذي يريد أن يمارس رُشدَه بغضّ النظر عن النتائج. وتقوم أزمة الهوية على ضرورة مواجهة المراهق للفشل المؤقت (أو التأخر) في تشكيل شخصية ثابتة نسبياً؛ بسبب تداخل الأدوار، وهنا ينبغي التنبه إلى احتمال تشكيل هوية سلبية تقوم على الاعتقاد بحياسة صفات سلبية كامنة (كثيراً ما تنجم عن الصراع الذي يعيشه مع الأبوين وإطلاقهما هذه الصفات السلبية عليه سواء في حضوره أو في غيابه).

وفي هذه المرحلة تتبدّى لدى المراهق فضيلة مميّزة على شكل إخلاص شديد للمبادئ التي يقوم باعتناقها، مع شدة التأثر بقيم الجماعة الشبابية المرجعية التي ينتمي إليها، وهذا هو الذي يُمكن أن يحميه من تشتت الدور الذي يُشكّل خطراً على استقرار ووضوح الهوية عنده.

يبتعد المراهقون عن الآباء خلال الجزء الأول من هذه المرحلة، حيث يُكوّنون بحاجةٍ إلى الانفصال حتّى يتمكّنوا من أن يُصبحوا شخصيّاتٍ "قائمة بذاتها". ويُمكن تشبيه ذلك بضرورة دخول "شرنقة" خلال فترة التغيّرات الجسديّة السريعة والتي يقوم فيها المراهق بالانكفاء على نفسه ليراقب التغيّرات الجارية؛ أحياناً بدهشةٍ وأحياناً بقلقٍ. وفي سبيل هذا، فإنّ المراهقين يحتاجون إلى شيء من الخصوصية، مكاناً وزماناً، مع تطوير المزيد من الرّاحة مع أنفسهم ومعتقداتهم وأساليبهم. ويبقى الصّراع المعتاد لمُدّة عامٍ تقريباً قبل أن يبدأ في التّناقص عند سنّ الثالثة عشرة.

## مهام الأبوين الحاضنين لدعم النّمو العاطفي للمراهقين:

المرونة في التّعامل مع الحدود: يُمكن للوالدين تمكين هذه العمليّة من خلال الاستمرار في تطوير الحدود لتناسب مع المتطلبات المتزايدة، ومن خلال السّماح بمساحةٍ كافية ودعمٍ عاطفي لمساعدة المراهقين على تطوير أنفسهم، كما أنّ التّعرّف على الطّرق، التي يختلف بها المراهقون عن الآباء، يساعد بدلاً من أن يضرّ بالعمليّة.

الآباء الذين يتقبّلون ويشجّعون مشاهدة شخصيّات المراهقين التي تتكشف، والذين لا يُعبّرون عن استيائهم من أنّهم مختلفون عنهم؛ عادةً ما يستمتعون بسنوات المرافقة، ومن المهمّ أن يتقبّل الآباء هذه الاختلافات، وألاّ تُنسب إلى كونهم قد عاشوا في الماضي خارج الأسرة، أو إلى أنّهم ليسوا الآباء البيولوجيين للمراهق، وأنّ هذه الاختلافات طبيعيّة أيضاً للمراهقين الذين يعيشون في أسرهم البيولوجيّة

يؤدّي اعتماد الأبوين الحاضنين للغة التّواصل المنفتح والمتقبّل للتغيّرات الحاصلة دوراً أساسياً في تطوير شعور المراهق بالرّاحة مع ذاته - الهويّة، الأمر الذي ينعكس على عدّة جوانب أساسيّة في هويّته التي هي في طور التشكيل، وذلك من خلال:

تعلّم المزيد عن قدراته وميوله لاختيار مسارٍ دراسيٍّ أو مهنيٍّ.

أنّ يُصباحا مرتاحين مع جنسه كشابٍّ/ فتاة ناضج/ة جنسيّاً؛ بما في ذلك متطلبات الدّور الجنسي لفتنهم العمريّة.

تطوير علاقات وثيقة مع الأقران طوال المرحلة، ومشاركة المعلومات الشّخصيّة عن أنفسهم في الجزء الأخير من المرحلة.

إضفاء الطّابع الفردي على القيم المعنّقة.

دمج قضايا الخسارة، ومعناها، في هويّة الفرد.

العمل من خلال استثمار الصِّراع الأبوي في النِّصف الأوَّل من المرحلة بشكلٍ إيجابي، فهذا يساعد على تمديد حدودهم تدريجيًّا، والحفاظ على علاقات أُسريَّة قويَّة في النِّصف الأخير من المرحلة.

الاستعداد لمغادرة المنزل في نهاية المرحلة (للدراسة أو العمل أو الزواج) دون فقدان الاتصال العائلي.

يشعر بعض المراهقين بأنهم ربَّما كانوا مسؤولين عن أحداثٍ جرَّت في الطُّفولة والاعتداء الجنسي وسوء المعاملة بالتردُّد، والصِّراع عند محاولة مشاركة أنفسهم مع الآخرين. إنَّهم قلقون من أنَّ الآخرين سوف يرمونهم بالعار أو بالشَّفقة عليهم، بدلَ قَبولهم وتفهمهم. ففي السيناريو الأمثل يُمكن للمراهقين الذين يعانون من مشاكل صعبة تعلُّم طرق صحيَّة عاطفيًّا لمشاركة معلوماتٍ عن أنفسهم مع الأصدقاء، بمشورة الآباء أو حتَّى الحصول على مشورةٍ اختصاصيَّة.

يُحدِّد المراهقون كيف أنَّهم متشابهون ومختلفون عن مجموعتين من الآباء: الآباء الحاضنين والآباء البيولوجيين، وترتبط القدرة على التحدُّث بصراحةٍ مع الأسرة حول قضايا الاحتضان بالأداء العالي لدى المراهقين

يُعَدُّ العثور على مجالات الاهتمام والكفاءة المهنيَّة أو المهنيَّة المحتملة لدى المراهق من المهامِّ الضروريَّة في هذه المرحلة. وهذا يميلُ إلى أن يكونَ قويًّا بشكلٍ خاصٍّ للنَّاس من حيث الطَّريقة التي يتكون بها أُسرهم. إذا كانوا يُخطِّطون للذهاب إلى الدِّراسة الجامعيَّة، على سبيل المثال، أو العيش في السِّكن الطلابي، أو إذا كانوا يُخطِّطون للعمل في شركةٍ عائليَّة أو حياة مهنيَّة، فهناك طريق آخر. فبعض العائلات لديها طريقة تقليديَّة واحدة فقط لمغادرة الأسرة، وخصوصًا للفتيات. يجبُ تحديد الطريق بوضوح للمراهقين، وأن يكونَ شيئًا يُمكنهم توقُّعه بشكلٍ معقول، بما يتناسب مع قدراتهم وإمكاناتهم، وكذلك مع الأعراف الاجتماعيَّة في البيئة المحيطة بهم وبالابوين الحاضنين.

من المفيد أيضًا أن يتحدَّث الآباء الحاضنون مع الشَّبَاب (والشَّبَابات) عن زواجهم في المستقبل، تصريحًا أو تلميحًا (من خلال الدُّعاء لهم مثلًا بأن يفرحوا بزفافهم في المستقبل)، وعن تأكيد استمراريَّة رغبة الأسرة الحاضرة في استمرار العلاقة الدَّاعمة معهم بعد الزواج؛ باعتبارهم أبناءهم الرّاشدين، وأنَّ أولادهم سيكوّنون لهم الأحفاد أيضًا، وعن الوقت المناسب (أو الشروط التي ينبغي توافرها من أجل زواجهم، مثل إنهاء الدِّراسة، أو الحصول على دخلٍ وعملٍ مستقرِّ). مثل هذا الحديث يُمكن أن يكونَ لازمًا لتهدئة أيِّ مخاوف لدى الشَّبَاب المُحتضن بشأن استمراريَّة العلاقة الأُسريَّة حتَّى بعد انطلاقه لحياة الرُّشد وتكوين عائلته وحياته الجديدة، ووصف المساعدة والتواصل المستمرِّ للعائلة الحاضرة بهم.

في بعض الأحيان، يتسبب تاريخ الهجر والتنفقات السابقة من أسرةٍ لأخرى قبل الاحتضان في شعور المراهقين بمشاعر مرّة من الخسارة أثناء تفكيرهم في مغادرة المنزل لأول مرّة، فتجدهم في بعض الأحيان يريدون المغادرة قبل الأوان؛ للتغلب على الخسارة. إنهم يفتقدون تلقّي الدعم الأسري في التّعامل مع الشؤون الماليّة، وزملاء الغرفة في السّكن الجامعي المخيبين للأمل، والعلاقات العاطفيّة المُحِبّة، والمرضى، وغيرها من مُشكلاتٍ أواخر سنّ المراهقة. لذا مناقشة موضوعات الخسارة والتحرُّر طوال سنوات المراهقة تمنح المراهقين الوقت للتنبؤ بمشاعر الانفصال الطبيعيّة والتكيّف معها.

يُنهي المراهقون المرحلة السابعة برؤية مثاليّةٍ لِمَا يَجِبُ أن يَكُونَ عليه الآباء والعالم، وبحلول نهاية المرحلة، يُشكّلون صداقات عميقة مع أقرانهم. ويتعلّمون المهارات التي ستساعدهم في النّهاية على تطوير علاقة حصريّة وحميمة (ثمّ زوجيّة) وملتزمة للبالغين.

## تقنيّات وكلمات تُعزّز الهويّة والتعلّق في المرحلة السابعة

عندما يبدأ المراهقون في الانفصال، يُمكن للوالديّن الموافقة على ذلك باستخدام كلماتٍ مثل "بالطبع تريد أن تفعل ذلك بشكلٍ مختلفٍ عمّا كنتُ سأفعله؛ لأنك تفكّر في هذا بشكلٍ مختلفٍ"، فهي تساعد على السّماح للمراهق بمعرفة أنّ الآباء يعترفون باختلافه وتفردّه دونَ غضاظة.

يُمكن للوالديّن وضع حدودٍ في حالة الرّفص، مع الاستمرار في التّعاطف اللطيف. على سبيل المثال، إذا أرادت الفتاة زيارة صديقة لها خارج الولاية، وقوبلَ هذا الأمرُ بالرّفص من أبويها فيمكن استخدام عبارات على شاكلة: "لا يُمكننا السّماح لك بالذهاب بعيداً؛ لأننا ببساطةٍ لم نتمكنُ بعد من الشّعور بالأمان، لكن أخبرينا عن صديقتكِ هذه وأهلها، فربّما نتعرّف عليهم أكثر."

قال أحد المراهقين أمام أصدقائه: "أعلم أنّ أمّي تُحبّني. إنّها حريصة على أن تطبخ لي دائماً". كانت هذه هي الأولويّة لهذه الأمّ في مواصلة التّواصل خلال فترة المراهقة.

استخدم الاتّصال البصري والجسدي. حتّى في بعض الأحيان لو بدا أنّ المراهقين المحتضنين يتجاهلون الآباء؛ فلا ينبغي للآباء في هذه الحالة أن يتوقّفوا عن معاملتهم كأبنائهم وبناتهم ضمنَ نفس المعايير الاجتماعيّة المُحِبّة.

احترم أذواق المراهق، لذا لا تناقش شيئاً هو مسألة ذوق. (بالطبع إلا ما كان يُخالف الأعراف الاجتماعية السائدة بوضوح. على سبيل المثال، تعليق صور خليعة على جدار غرفته هي أكثر من مجرد مسألة ذوق)

إيجاد حلّ وسط؛ يحتاج المراهقون إلى تعلّم التفاوض، وعقد الصفقات، كُن قابلاً للتفاوض والمرونة، وعلمهم الفن الرفيع المتمثل في "الفوز / الفوز".

يجبُ على الآباء الاعتذار عندما يكون لديهم هبوط في المزاج، أو إخلال بوعده، وما إلى ذلك؛ لأنه عادةً بحلول منتصف سنوات المراهقة، سيحذو المراهقون حذوهم.

استمر في الحفاظ على الطقوس الليلية إذا شعرت أنّ المراهق بحاجة إليها، ففي بعض السنوات سوف يريد المراهقون استمرار (حديث الوسادة)، والبعض الآخر لا.

عندما يطلب المراهقون التحدث، فإنهم يريدون التحدث في ذلك الوقت بالذات، حاول أن تكون لطيفاً للغاية إن كنت مشغولاً، على أن تحدّد وقتاً قريباً ما أمكن، وأظهر له أنه لا يزال ذا أولوية في حياتك وبأنك ستغيّر جدولك خصيصاً من أجله.

العثور على أنشطة ممتعة للقيام بها مع المراهقين، (أفلام تناسب ذوقكم، هوايات تصلح لمشاركتها، رحلات عائلية مشتركة).

حافظ على جميع طقوس عيد الميلاد والإجازات، هذه الأمور تميل إلى أن تكون ذات مغزى كبير طوال سنوات المراهقة، حتى لو غابوا عنها لعذرٍ ما في العام السابق، أو أبدوا عدم اكتراثٍ بها.

العطايا والهدايا الرمزية يمكن أن تتحوّل إلى مفاجآتٍ مدروسة للمراهق، وتشير إلى وعي الأبوين بالأشياء التي يجدها ممتعة أو مهمة، كأن تكون قطعة ثياب بالطراز واللون المفضل لدى المراهق، أو كتاباً مثيراً للاهتمام حول موضوع لم يكن المراهق يعرف أنّ الأب كان على علم به.

لا تحاول أن تكون "بارداً" حين تجد ميلاً للعزلة لدى المراهق، حاول الاستمرار في سلوكك الرعائي اللطيف والمنظم، هذا يمنح المراهق الثقة بأنّ الأبوين ما زالا راسخين في علاقتهما به.

تزويد المراهقين بمعلومات الهوية التي ستساعدهم في مهمتهم الصعبة المتمثلة في تكوين الهوية.

اصطحبهم إلى معالج نفسي جيد عند اللزوم لبحث قضايا الهوية الصعبة والخسارة أو خبرات أليمة من الماضي.

## قائمة بالمهام العاطفية للمرحلة السابعة

- يلجأ المراهق إلى الأبوين للمساعدة عندما يكون في حالة طوارئ.
- عندما يكون المراهق مريضاً أو مُصاباً، فإنه يرتاح لقرب الأبوين.
- يشعر المراهق بالندم إذا أثلّف شيئاً خاصاً بالأبوين.
- عادةً ما يكون المراهق صادقاً مع الأبوين، (قد يرفض المراهقون مناقشة بعض الموضوعات، وهم حذرون، ولكن لا ينبغي أن يكونوا غير صادقين، قد يسهم الآباء المتطفّلون في حدوث هذه المشكلة).
- يلجأ المراهق إلى الأبوين أو الأقران الجديرين بالثقة للتهنئة عندما يشعر بالضيق.
- يلجأ المراهق لاستشارة الأبوين في اكتساب المعرفة حول بعض الموضوعات الدينية أو الاجتماعية أو الاقتصادية.
- يُحیی المراهق الأبوين في المنزل، ويبحث عنهما لمعرفة مكان وجودهما عند دخوله المنزل.
- يشعر المراهق بالأمان ضمن حدود الأبوين وبوجودهما.

## نظرة عامّة على مسار الطّفل النمائي والتعلّق الآمن

يحتاج الطّفل إلى الوقت كي يتعلّق بالأبوين الحاضنين، كلّما كان عمر الطّفل أصغر كان الأمر أيسر، إذ يكوّن تعلّقه محكومًا بقلّة قدرته على الحركة وهو رضيع، وتلقّيه لما يُلبّي احتياجاته سيجعله يتعلّق تدريجيًا بالشّخص الأكثر ظهورًا وتلبيةً لاحتياجاته، والأكثر تفرُّغًا وقدرةً على (مُؤالفة) حركاته، وأصواته، ومعرفة متطلّباته الخاصّة وطريقة إرضائها. أمّا حين يُحتضن في عمر أكبر ويكوّن الطّفل قادرًا على الابتعاد والاقتراب؛ فإنّ الأمر يُصبح أصعب، وسيظهر على الطّفل نوعٌ من (مقاومة الالتصاق) بالأمّ الحاضنة، ويحتاج وقتًا ليثق ويرتبط بها. والارتباط لن يعني الالتصاق، بل يعني الدّوران في فلّكها، ويحتاج الأبوان الحاضنان في هذه الحالة إلى الدّعم في التّعامل مع مخاوفهما حيال مقاومة الطّفل الطبيعيّة.

يدور الطّفل في فلّك الأبوين مقتربًا تارةً، ومبتعدًا تارةً أخرى، ممارسًا فضوله ونشاطه حيال العالم المحيط بهما، ويعودُ إلى حضن الأمّ أو الأب ليلبّي احتياجاته، ليُدأويَ أمّه أو ليرتاحَ بالقرب. لكنّه لا يلبثُ أن يتحرّك مبتعدًا من جديد، كما أنّ مسارَ دَوْرانه في فلّكهما يتوسّع تدريجيًا.

في الشّكل الأيسر، مُثّلت كلُّ مرحلةٍ من مراحل النّمّو العاطفي بدائرة تُحدّد مسارَ قُربه أو بُعده، وتعلّقه بالأبوين. يُشكّل حضنُ الأمّ (والأب) المكان الآمن؛ الذي يغادره بفعل فضوله نحو العالم، ويعودُ إليه حين يحتاج المزيد من الراحة والطاقة، وبالطّبع تنخفض كمّيّة الوقت الذي يقضيه مع أبوين، لكنهما يبقيان جزءًا مهمًّا من مشوار حركته في الحياة، فالتعلّق ليس التصاقًا، بل هو حركة منتظمة حوّل الأبوين وانتقالٌ تدريجيٌّ من مدارٍ إلى آخر.



في الختام، يمكننا أن نوجه للمختصين الاجتماعيين مفاهيم أساسية توجه عملهم حين يقومون بعملهم في مساعدة الأمهات أو الآباء الحاضنين للطفل على تنشيط نموه الانفعالي بأفضل قدر ممكن، وهي:

الأبوة البيولوجية لا تعني بالضرورة الرغبة أو القدرة على رعاية الطفل بشكلٍ كافٍ، ولهذا ينبغي ألا يشعر القائمون باحتضان الأطفال بأيّ وصمة؛ لكونهم ليسوا الوالدين، بل الفخر بما يقومون به لصالح الأطفال ولصالح المجتمع وبتوافق تامّ مع المقاصد الشرعية الكريمة.

الرعاية الداعمة والمتسقة من قبل مُقدمي الرعاية الأولية (سواء أمهات بيولوجيات أم حاضنات) أمرٌ بالغ الأهمية لنمو الدماغ المبكر والاحتياجات الجسدية والعاطفية والتنموية للأطفال. وهنا يأتي دورهم في التشجيع والاشتراط أيضاً ضمن إجراءات قبول طلباتهم - الأمهات الحاضنات بشكلٍ خاصّ على ملازمة الطفل خلال المرحلة الأولى التالية للاحتضان، وتتبع ذلك في زيارتهم الميدانية.

استخدام العلامات المميزة للمراحل النمائية في فترة ما قبل الاحتضان، وذلك للتعرف على مدى نمو الطفل انفعالياً، واختيار العائلة الأنسب لحاجات الطفل في هذه المرحلة، وتقديم هذه المعلومات كجزء من تهيئة الأسرة الحاضنة لأسلوب التعامل المناسب مع الطفل المحتضن.

استخدام قوائم المهام العاطفية المذكورة في ثنايا هذا النص تبعاً للمرحلة النمائية التي يصل إليها الطفل؛ من أجل ملاحظة ثمار جهود الأبوين الحاضنين، وتوجيهها نحو التقنيات المناسبة للمرحلة.

يحتاج الأطفال إلى الاستمرارية والاتساق والقدرة على التنبؤ بشأن من يرعاهم، فالانتقالات المتعددة من أسرة لدار حضانية أو مؤسسات تكون ضارة للغاية، وعلى هذا الأساس فإن إتقان دراسات الحالة الأسرية للمرشّحين للاحتضان ينبغي أن يأخذ بعين الحسبان إمكانية تأمين متطلباته العاطفية المرحلية أيضاً.

التعلق والشعور بالوقت ومستوى نمو الطفل هي عوامل رئيسة في تكيفه مع الضغوط البيئية والداخلية.

يمكن للمختصين الاجتماعيين والنفسيين أن يؤثروا دوراً بناءً في التقييم والإحالة إلى المختصين في العلاج النفسي لحالات الأطفال المعرّضين لخطر سوء المعاملة أو الإهمال أو التخلي عنهم.

يحتاج المشرفون على إدارة حالة الطُّفَل المحتضَن إلى تشجيع مُقدِّمي الرِّعاية (الأمّهات) خصوصًا في الطُّفولة المبكِّرة على الآتي:



يجبُ أن تُولى المعلومات المتوافرة عن تاريخ تعلق الطُّفَل أهميَّة كبرى في توجيه الحاضنين له وتوعيتهم باحتياجاته الرَّاهنة.

يجبُ أن تزيد الأُسَر الحاضنة دائمًا إلى أقصى حدٍّ من عوامل الشِّفاء من آثار الخبرات السَّابقة للطُّفَل قَبْل الاحتضان، وأن تستندَ إلى معرفة وقائع حياة الطُّفَل واحتياجاته الخاصَّة، وبالأخصَّ تلك الَّتِي تمسُّ قدرته على التَّفكُّ بالمرَّاشدين كحاضنين آمِنين في لحظاتٍ تؤثره وخوفه.

ينبغي أن يستندَ إيداع الطُّفَل في أُسَرٍ حاضنة من الأقارب إلى تقييمٍ دقيقٍ لاحتياجات الطُّفَل وقدرة رعاية الأقارب على تلبية تلك الاحتياجات، وحمايته من تأثيرات الوالدين البيولوجيين المحبطين لعدم قدرتهما على تولى رعايته بأنفسهما. وكما هو الحال مع جميع أماكن الحضانة، يجبُ دعمُ رعاية الأقارب والإشراف عليها بشكلٍ كافٍ.

 1555 | 1100 | [mosd.gov.om](http://mosd.gov.om)

    [mosdOman](#)

SULTANATE OF OMAN

**MINISTRY OF SOCIAL DEVELOPMENT**